

حلية الفرسان و شعار الشجعان

ابن هذيل

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال عبد الله الفقير إلى رحمته، علي بن عبد الرحمن بن هذيل، وفقه الله: الحمد لله الذي من علينا بالإيمان، وسخر لنا الأنعام في محكم القرآن، وخلق الفرس عربياً لكناية عبده الأوثان، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله ما تعاقب الملوان، والرضى عن خلفائه أبي بكر وعمر وعلي وعثمان.

أما بعد: كتب الله النصر المؤيد، والعز المؤبد، والثناء المخلد، للمقام الكبير السني، الجليل السمي العالي، مقام مولانا وعصمة ديننا ودينانا، ظهير الدين وعماد المؤمنين، وخليفة رب العالمين، الخليفة الإمام، الملك الهمام، العلي أمره، الرفيع بين أقدار السلاطين قدره، الجواد الباذل، الأطول الفاضل، التقى الصالح، ذي الدين المتين، والعقل الراجح، والمجاهد الأمضى، الصدر الأرضى، الأسعد الظاهر، الأشرف الطاهر، المفتخر به هذا العصر على غيره من الإعصار، الذي رفع قدره على جميع الأقدار، وجعل نجاره من السادة الأخيار، البررة الأنصار، الشهير المناقب، العلي المراتب، أمير المسلمين المستعين بالله أبو عبد الله محمد، بن مولانا الهمام الأوحى، الأشرف الأجد، المثل الخضير، الشهير الكبير، الكريم المآثر، السامي المفاخر، أمير المسلمين المستعين بالله، المجاهد في سبيل الله، المقدس المرحوم، أبي الحجاج يوسف، بن مولانا الإمام الخليفة الأعظم، والملجأ الأعصم، ظل الله الممدود على عباده، وسيفه المسلول في سبيل جهاده، وستر الله المسدول على بلاده، كافل الأمة، وغياث الرحمة، ذو الجهاد المقبول والغزوات الشهيرة، الحسن السيرة، السليل السريرة، بل الصالح السريرة، السلطان المعظم، الكبير المجد، أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، الغني بالله، المنصور بعون الله، المقدس المرحوم، أبي عبد الله محمد، بن مولانا أمير المسلمين، وخليفة رب العالمين، السلطان الكبير المجاهد، الكريم المناقب والحامد، قانع الكفار، وفتاح الأقطار، المعظم الكبير الأضخم، المرحوم المقدس المنعم، أبي الحجاج يوسف، بن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، فخر الملوك والسلاطين، معز الإسلام وأهله، المخصوص بالسعادة في أمره كله، المعظم الهمام، الأطول الباسل، الجلود الفاضل، المقدس المرحوم المنعم، أبي الوليد إسماعيل بن نصر؛ وصل الله سعودهم، وحرس وجودهم، وسنى لهم في كل مرام غرضهم ومقصودهم.

ومولانا - نصره الله - ملك الدنيا الذي وقع عليه الإجماع والإصفاق، والتأم الاتفاق، وتحدث بسيرته الجميلة الرفاق، فتشوقت إليه الشام والعراق؛ واليمن مكتنف بسلطانه، والظفر مبتسم عن سنانه، والنجح

عاقده لوائه، والحمد نسج رداؤه. فجعل الله - سبحانه - شعاره الجهاد، وشيمته سلوك سبيل الرشاد، وعادت به جزيرة الأندلس في حرز من نزعات الفتن، وحفظ من لزبات الإحن، واتضح بهذا القطر الأندلسي دين الإسلام، ببركة هذا البطل المهام، معمور الأرجاء، موفور النعماء، مضمون النماء، مصون السراء، محجوب الضراء، والحمد لله الذي شرف دولته على جميع الدول، وجعل ملوك الأرض لها الأتباع والخول.

وإن من أعظم الفوائد قدراً، وأشرف المعاني ذكراً، وأنجح المساعي أمراً، أن يرفع فن من العلم نبيل، إلى مقام ملك جليل؛ فذلك هو الذي أوجب على العبد تأليف هذا الكتاب وتلخيصه، وتهديته وتمحيصه، يشتمل على جلاد وكفاح، وخيل وسلاح، وما يختار من صفاتها، ويكره ويذم من شياتها، وجميع ما يختص بأحوال المركوب، ويتضمن تعليم الركوب، وتتميم المطلوب. وجمعت هذا الكتاب من جملة تواليف، وانتقيته من غير ما تصنيف، ككتاب "يقظة الناعس لتدريب المجاهد الفارس" و "كتاب تهذيب الإمعان، في الشجاعة والشجعان" و "كتاب راحة القلوب والأرواح، في الخيل والسلاح" و "كتاب الدمياطي في الخيل" و "كتاب رسالة الفرس" و "كتاب طبائع الحيوان" لأرسططاليس؛ إلى غير ذلك من التواليف التي لتزارة المنقول منها هنا لم تكتب، ومن الأجزاء لصغر جرمها لم تنسب. فجاء بحمد الله تعالى في فنه كافياً، وفي معناه أسلوباً شافياً، تذكراً لمن عنى بالجهاد، وتبصرة لأرباب الطعان والجلاد. وسميته "حلية الفرسان، وشعار الشجعان"، وقسمته عشرين باباً:

الباب الأول في خلق الخيل، وأول من أتخذها، وانتشارها في الأرض الباب الثاني في فضائل الخيل وما جاء في ارتباطها والباب الثالث في حفظ الخيل وصورها، وما قيل في الوصية بها والباب الرابع فيما تسميه العرب من أعضاء الفرس، وما في ذلك من أسماء الطير والباب الخامس فيما يستحب في أعضاء الفرس من الصفات، وما يستحسن أن يكون شبيهاً به من الحيوان والباب السادس في ألوان الخيل وذكر الشيات والغرر والتحجيل والدوائر والباب السابع فيما يحمى من الخيل وصفه جيادها، وأسماء العتاق والكرام منها والباب الثامن في عيوب الخيل حلقة وعادة والباب التاسع في اختيار الخيل واختبارها والفراسة فيها والباب العاشر في تعليم ركوب الخيل على اختلاف حالاتها والباب الحادي عشر في المسابقة بالخيل والحلبة والرهان والباب الثاني عشر في أسماء خيل رسول الله وفحول خيل العرب ومذكوراتها والباب الثالث عشر في ذكر ألفاظ شتى وتسميات أشياء تخص بها الخيل والباب الرابع عشر في ذكر نبذة من الشعر. إثارة العرب الخيل على غيرها وإكرامهم لها وافتخارهم بذلك والباب الخامس عشر في ذكر السيوف والباب السادس عشر في ذكر الرماح والباب السابع عشر في ذكر القسي والنبل والباب الثامن عشر في ذكر الدروع والباب التاسع عشر في ذكر الترسه وشبهها والباب العشرون في ذكر السلاح

والعدة على الإطلاق؛ وهو الأخير من أبواب الكتاب، جعل الله ذلك من المقاصد النافعة، وكتبها عنده في النيات الصالحة الشافعة، فهو ولي التوفيق، والهادي إليه، لا رب سواه.

الباب الأول

خلق الخيل

وأول من أتخذها، وانتشارها في الأرض

قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما أراد الله تعالى أن يخلق الخيل قال للريح الجنوب: إني خالق منك خلقاً فأجعله عزَّ الأوليائي، ومذلة لأعدائي، وحمى لأهل طاعتي، فقالت الريح: أخلق، فقبض منها قبضة فخلق فرساً، فقال له: سميتك فرساً، وخلقتك عربياً، وجعلت الخير معقوداً بناصيتك، والغنائم مَحْزُوزَةً على ظهرك، والعز معك حيثما كنت، آثرتك على غيرك من الدواب، وجعلتك لها سيدياً، وعظفت عليك صاحبك، وجعلتك تطير بلا جناح، فأنت للطلب، وأنت للهرب، وسأحمل على ظهرك رجالاً يسبحوني ويكبروني ويهللوني، تسبح إذا سبحوا، وتهلل إذا هللوا، وتكبر إذا كبروا، قال: فليس من تسبيحه ولا تكبيرة ولا تهليله يهللها صاحبها فيسمعها إلا وتجيبه مثلها. ثم قال: فلما سمعت الملائكة صفة الفرس وعابنوا خلقها، قالت: أي ربي! نحن ملائكتك نسبحك ونكبرك وتهللك فماذا لنا؟ فخلق الله للملائكة خيلاً بلقا، لها أعناق كأعناق البُحْت، أمدٌ بها من شاء من أنبيائه ورسله، أرسل الفرس إلى الأرض واستوت قدماه عليها سهل، فقال: بوركت من دابة! أذلُّ بصهيلك المشركين، وأرعبُ به قلوبهم، وأملاً آذانهم، وأذلُّ به أعناقهم، ثم لما عرض على آدم ما خلق من شيء فسماه باسمه، وقال له: اختر من خلقي ما شئت، فاختار الفرس، فقال له: اخترت عزك وعز ولدك، خالداً ما خلدوا، وباقياً ما بقوا؛ بركتي عليك وعليهم، ما خلقت خلقاً أحب إليّ ومنهم، ثم وسمه بَعْرَةَ وتَحْجِيل، فصار ذلك من لدنه".

قال مؤلف كتاب الحيوان: "الفرس من طبعه الزهو في المشي، ويجب سائسه ويعجب راكبه، ولا يحب الأولاد، وهو غيور، ويعرف المصيبة". وذكر الأصمعي أن رجلاً معتوها جاء إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال: يا أبا عمرو، لم سميت الخيل خيلاً؟ فبقي أبو عمرو ليس عنده فيها جواب، فقال: لا أدري! الرجل: لكني أدري! فقال علمنا نعلم! قال: لاختيالها في المشي، فقال أبو عمرو لأصحابه بعد ما ولي الرجل: اكتبوا الحكمة وارووها عن معتوه.

فصل

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان داود نبي الله وخليفته في أرضه يحب الخيل حباً شديداً، فلم يكن يسمع بفرس يُذكر بعثقٍ أو حسن أو جرى إلا بعث نحوه، حتى جمع ألف فرس، لم يكن يومئذ في الأرض غيرها، فلما قبض الله داود، وورثه سليمان وجلس في مقعد أبيه قال: ما ورثني داود مالا أحب إلى من هذه الخيل، فأضمرها وصنعها ودعا بها ذات يوم، فقال: اعرضوها عليّ حتى أعرفها بشياتها وأسمائها وأنسابها، قال: فأخذ في عرضها حتى صلى الظهر، فمر به وقت العصر وهو يعرضها، ليس فيها إلا سابق رائع، فشغلته عن الصلاة، حتى غابت الشمس وتوارت بالحجاب، ثم أتته فذكر الصلاة، فاستغفر الله تعالى وقال: لا خير في مال شغل عن ذكر الله وعن الصلاة! رُدُّوها عليّ! وقد عرض منها تسعمائة وبقيت مائة، فردوا التسعمائة، فطفق يضرب سُوقها وأعناقها أسفاً على ما فاته من وقت العصر. وبقيت مائة فرس لم تكن عرضت عليه؛ فقال: هذه المائة أحبُّ إليّ من التسعمائة التي فتنتني عن صلاتي؛ فأمسكها، قال الله تعالى: ووهبنا لداود سليمان نِعَمَ العبد إنه أواب، إذا عرض عليه بالعشيّ الصافناتُ الجياد، فقال: إني أحببت حُبَّ الخير عن ذكر حتى توارت بالحجاب، رُدُّوها عليّ، فطفق مَسْحاً بالسوق والأعناق". والمائة التي لم تشغله عن ذكر الله تركها، فلم يزل معجبا بها حتى قبض. فالخيل إلى هذه الغاية من نسل تلك المائة الباقية.

وقال ابن الكلبي: يقال إنه اخرج الله تعالى إليه مائة فرس من البحر لها أجنحة، وكان يقال لتلك الخيل الخير؛ فكان سليمان عليه السلام يراهن بينها ويُجرّيها؛ ولم يكن شيء أعجب إليه منها. وروى أن ابن عباس رضي الله عنه قال: أول ما انتشر في العرب من تلك الخيل أن قوماً من الأزد من أهل عُمان، قدموا على سليمان ابن داود عليه السلام بعد تزويجه بلقيس ملكة سبأ، فسألوه عما يحتاجون إليه من أمر دينهم وديناهم، حتى قضوا من ذلك ما أرادوا، وهموا بالانصراف؛ فقالوا: يا نبي الله! إن بلدنا شاسع، وقد أنفضنا من الزاد، فمُرُّ لنا بزاد يبلغنا إلى بلدنا، فدفع إليهم سليمان فرساً من خيل داود، وقال: هذا زادكم! فإذا نزلتم فاحملوا عليه رجلاً، وأعطوه مطرداً، واحتطبوا وأوروا ناركم، فإنكم لن تجمعوا حطبكم وتوروا ناركم حتى يأتيكم بالصيد. فجعل القوم لا يتزلون متزلاً إلا حملوا على فرسهم رجلاً بيده مطرد، واحتطبوا وأوروا نارهم؛ فلا يلبثون إلا قليلاً حتى يأتيهم صاحبهم بصيد من الظباء والحمر والأرؤى، فيأتيهم بما يكفيهم وفضلاً عن ذلك، فقال الأزديون: ما فرسنا هذا اسم إلا "زاد الراكب"؛ فكان ذلك أول فرس انتشر في العرب من تلك الخيل. فأصل فحول العرب من نتاجه. وزعم آخرون أن سليمان بن داود عليه السلام لما كان يمسح أعناقها وسُوقها طار منها ثلاثة أفراس عند قتله إباها؛ فوقع فرس في ربيعة، وفرس في حُشَيْن، وفرس في براء، فحملوهم على خيولهم وكانت هُجناً، فلما

تُنَجَّتْ تِلْكَ الْأَفْرَاسُ طَارَتْ فَرَجَعَتْ إِلَى الْبَحْرِ، وَتَنَابَحَتْ الْخَيْلُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ.
وروى الواقدي أن أول من ركب الخيل إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام. قال: وإنما كانت
الخيال وحشاً لا تطاق أن تُركب، حتى سُخِّرَتْ لِإِسْمَاعِيلَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَسَنَهَا وَرَكَبَهَا وَنَتَجَهَا. عن ابن
عباس رضي الله عنه قال: كانت الخيل وحشاً كسائر الوحوش، فلما أذن الله عز وجل لإبراهيم وإسماعيل
عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله تعالى: إني معطيكما كترًا ادخرته لكما، ثم أوحى الله تعالى
إلى إسماعيل أن أخرج فاذعُ بذلك، فخرج إسماعيل إلى أجياد، وكان موضعاً قريباً منه، وما يدري ما
الدعاء ولا الكثر، فألممه الله عز وجل الدعاء، فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا أجابته
فأمكنته من نواصيها، وذلها الله له. قال ابن عباس: فاركبوها واعتقدوها فإنها ميامين، وإنما ميراث أبيكم
إسماعيل.

فصل

في وجوه اتخاذها:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الخيل ثلاثة: هي لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى
رجل وزر؛ فأما الذي هي له أجر فرجل أتخذها في سبيل الله، فلو عرض له نهر فسقاها منه كان له بكل
قطرة تدخل بطونها أجر، ولو عرض له مَرَجٌ فرعت فيه كان له بكل شيء يدخل في بطونها أجر، وبكل
خطوة تخطوها أجر، حتى ذكر الأجر في أروائها وأبوالها؛ وأما الذي هي له ستر فرجلٌ أتخذها تجملاً
وتكرماً، ولم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها؛ وأما الذي هي عليه وزر فرجلٌ أتخذها أشراً وبطراً
ورثاء الناس، ولم يؤد حق ظهورها ولا بطونها.
وعن خَبَّابٍ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ: فَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ، وَفَرَسٌ لِلْإِنْسَانِ، وَفَرَسٌ
لِلشَّيْطَانِ. فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمَنِ فَمَا أُتْخِذَ لِلَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقُوتِلَ عَلَيْهِ أَعْدَاءُ اللَّهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الْإِنْسَانِ فَمَا
اسْتَطْرَقَ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ فَمَا رُوِهِنَ وَقُومِرَ عَلَيْهِ.
وعن أنس بن مالك قال: لما استقرت الدار بالحجاج بن يوسف ووضع الحرب خرجنا حتى قدمنا
"واسط". وذكر اجتماعه بالحجاج وعرض الحجاج خيله عليه، فقال رضي الله عنه: الخيل ثلاثة أفراس:
فرس يتخذه صاحبه "و" يريد أن يجاهد عليه، ففي قيامه عليه وعلفه إياه وأدبه له، أحسبه قال: وكسح
مذوده، أجرٌ في ميزانه يوم القيامة؛ وفرس يصيب أهلها من نسلها يريدون وجه الله فقيامهم عليها وعلفهم

إياها وأدبهم لها وكسح روثها أجرٌ في ميزانهم يوم القيامة، وأهلها معانون عليها؛ وفرس للشيطان، فقام أهلها عليها، وذكر غير ذلك، وزرٌ في ميزانهم يوم القيامة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بإناث الخيل، فإن ظهورها حرز، وبطنها كتر. وقيل لبعض الحكماء: أي الأموال أترى؟ قال: فرس، يتبعها فرس، في بطنها فرس.

وقال عدي بن الفضل: سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم أي المال خير؟ قال: سكة مأبورة، أو مهرة مأبورة. والسكة المأبورة السطر من النخل والمهرة المأمورة الكثيرة الولد. وزعمو أن دار أمير المؤمنين علي، التي بالكوفة كانت لعروة بن الجعد، فباعها بفرس أتى فأصاب "من" تلك الفرس مالا كثيراً؛ وسيأتي ذكر عروة بعد هذا.

وعن عمر بن أبي أنس قال: قال سعد: يا رسول الله! إن لي خيلاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: احبسها واحمل عليها الفحول، واحبس الإناث منها، تنل الدرجات العلا من الجنة، فكان سعد يفعل ذلك.

وكان خالد بن صفوان يقول في اتخاذ الدواب: أما الخيل فللرعب والرهب، وأما البراذين فللجمال والدعة، وأما البغال فللسفر البعيد، وأما الإبل فللحمل، وأما الحمير فللدبيب وخفة المثونة.

الباب الثاني

فضائل الخيل

وما جاء في ارتباطها

أقسم الله تعالى بالخيل في كتابه العظيم لفضلها عنده، فقال سبحانه: "والعاديات صَبِحًا" إلى قوله "إن الإنسان لربه لكنود". قال المفسرون: العاديات هي الخيل؛ والضَّيْحُ حلوقها إذا عَدَت. "فالموريات قَدْحًا": أي أورت النار بجوافرها. "فأثَرُنْ به نَقَعًا": النقع الغبار وقيل التراب. "فوسَطُنْ به جمعًا": أي توسطن جمعاً من الناس أغارت عليهم. "إن الإنسان لربه لكنود": أي كفور.

وسماها أيضاً في كتابه بالخير، فقال سبحانه على لسان نبيه سليمان ابن داود: "إني أحببت حبَّ الخير عن ذكر ري".

وفضَّلها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجال في السُّهُمان؛ فجعل للفرس سهمين وللرجل سهماً واحداً. وجاءت في فضلها عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة.

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم

القيامة". وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم والنسائي.
وروى مسلم أيضاً عن عُرْوَةَ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخيَلُ معقود في نواصيها الخير إلى يوم
القيامة، قيل: يا رسول الله! وما ذلك؟ قال: الأجر والغنيمة". وعُرْوَةُ المذكور هو ابن أبي الجعد البارقِي.
وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه ديناراً يشتري له به شاة، فاشترى له به شاتين، فباع إحداهما
بدينار، وجاءه بدينار وشاة، فدعا له بالبركة، فكان لو اشترى التراب ربح فيه.
قال شبيب بن عَرْقُودَةَ: رأيت في دار عروة بن أبي الجعد تسعين فرساً رغبةً منه في رباط الخيل. قال محمد
بن المنتشر: كان له فرسٌ أخذه بعشرين ألفاً.

وعن جرير بن عبد الله قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفتل ناصية فرسه بإصبعيه ويقول: "الخير
معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة".
قالوا: وفي قتله عليه السلام ناصية فرسه الفضلُ في خدمة الرجل دابته المَعْدَةُ للجهاد، وفيه دليل أن الجهاد
باق ثابت إلى يوم القيامة، وفيه بقاء الإسلام والمجاهدين الذابين عنه إلى يوم القيامة.
وعن أبي كبشة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخيَلُ معقودة في نواصيها الخير إلى يوم
القيامة، وأهلها معانون عليها؛ والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة". وفي لفظ آخر: "الخيَلُ في نواصيها
الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها؛ فامسحوا بنواصيها، وادعوا الله لها بالبركة".
وعن سَوَادَةَ بن الربيع الجرمي قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر لي بدوْدٍ، وقال لي:
"عليك بالخيَلِ، فأن الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة".
وعن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الخيَلُ في نواصيها الخير معقود أبداً إلى يوم
القيامة، فمن ربطها عُدةً في سبيل الله، فأن شبعها وجوعها، وربها وظمأها، وأرواتها وأبوالها، فلاح في
موازينة يوم القيامة؛ "ومن ربطها رياءً وسمعةً، وفرحاً ومرحاً، فأن شبعها وجوعها، وربها وظمأها،
وأرواتها وأبوالها، خسران في موازينه يوم القيامة".
والناصية الشعر المسترسل على الجبهة، وقد يكنى به عن النفس؛ يقال: فلان مبارك الناصية، أي النفس.
وعن أنس بن مالك قال: لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل.
وعن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من حبس فرساً في سبيل الله كان
ستره من النار".

وعن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله
وتصديقاً بوعده الله، كان شبعه وريه وروثه حسناتٍ في ميزانه يوم القيامة".

وروى ابن سعد في الطبقات قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المنفق على الخيل كباسط يده بالصدقة لا يقبضها؛ وأبوالها وأروائها عند الله يوم القيامة كذكي المسك".

وحكى عبد الرحمن بن زياد أنه لما نزل المسلمون مصر كانت لهم مراغة للخيل فمر حُديج بن صومي بأبي ذر رضي الله عنه وهو يمرغ فرسه الأجدل، فقال: ما هذا الفرس يا أبا ذر؟ قال: هذا فرس لي لا أراه إلا مستجاباً، قال: وهل تدعو الخيل فتجاب؟ قال: نعم! ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه يقول: اللهم إنك سخّرتني لأبن آدم، وجعلت رزقي بيده، فاجعلني أحب إليه من أهله وماله، اللهم ارزقه مني وارزقني على يديه.

وروى أبو الحسن الإسكندر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لقي عيسى بن مريم إبليس لعنه الله، فقال: يا إبليس! إني سائلك عن شيء فهل أنت صادقي فيه؟ قال: يا روح الله! سلني عما بدا لك، فقال: أسألك بالحي الذي لا يموت! ما الذي يُسلُّ جسمك ويقطع ظهرك؟ قال: سهيل فرس في سبيل الله، وفي قرية من القرى أو حصن من الحصون؛ ولست أدخل داراً فيها فرس في سبيل الله".

وعن عطاء الخراساني قال: إن الله ليأجرُ العبد على حبه الخيل وإن لم يرتبطها.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من همَّ أن يرتبط فرساً في سبيل الله بنية صادقة أُعطى أجر شهيد".

وعن عبادة بن الصامت أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الفرس ليستنُّ في طيلة، وصاحبُه نائم على فراشه، فلا تبقى له خطيئة إلا وقعت".

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من ارتبط فرساً في سبيل الله كان له مثل أجر الصائم الذي لا يفطر، والقائم الذي لا يفتر؛ والباسط يده بالصدقة "كذلك" ما أنفق على فرسه".

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من كثرت سيئاته وقلت حسناته فليربط فرساً في سبيل الله، ومن

ارتبط في سبيل الله كان كمن نصر موسى وهارون، وقاتل فرعون وهامان".

وعن قيس بن باباه قال: سمعت سلمان رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، "ما

من مسلم إلا حق عليه أن يرتبط فرساً في سبيل الله" إذا أطاق ذلك".

ولم تكن العرب تُعدُّ المال في الجاهلية إلا الخيل والإبل، وكان للخيل عندها مزية على الإبل، فلم تكن تُعدلُ بها غيرها، ولا ترى القوة والعزَّ والمنعة بسواها، لأن بها كانوا يدافعوا عن غيرها مما يملكون، ويمنعون حريمهم، ويحمون من وراء حوزتهم وبيضتهم، ويغاورون أعداءهم ويطلبون ثأرهم، وينالون بها المغام، فكان جبههم لها، وعظم موقعها عندهم، على حسب حاجتهم إليها، وغنائم عنها، وما يتعرفون من بركتها ويؤمنها؛ إلى أن بعث الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، وأكرم أمته بما هداهم له من دينه،

وأمتنَّ عليهم به منه، فاختر لنبيه عليه الصلاة والسلام إعداد الخيل وارتباطها لجهاد عدوه؛ فقال سبحانه: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ، تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ، اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ".

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية: "وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم" قال: الجن؛ ولن يَخَيَّلَ الشيطان إلى إنسان في داره فرس عتيق. فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل وارتبطها وأحبها، وحض المسلمين على ارتباطها، وأَعْلَمَهُمْ ما لهم في ذلك من المثوبة والأجر، فسارَعُوا إلى ذلك وازدادوا حرصاً عليها وفي إمساكها، رغبة في الأجر والتماس البركة والخير في العاجل والآجل، في اقتنائها وتتميرها واستبطانها، وتنافسوا فيها، وغَالُوا، لما جعل الله فيها من أنواع البركات وجماع الخيرات.

قيل: ومن فضائل الخيل أنها أصبر البهائم وأشدّها شدة، وأخف الدواب كلها مثوية في العلف والمشرب عند ضيق الأمر في ذلك، إذ كان يكفيها في السرايا والمفاوز والأسفار القليل منه، ثم قسنا عليها في شدتها: فوجدنا أشد البهائم وأقواها على الأحمال الثقيل الإبل، فأصبنا البعير البازل الشديد أكثر ما يحمل ألف رطل، فإذا حَمَلَ هذا المقدار لم ينهض إلا بعد الجهد والحيلة، ورأينا لا يجري بحمله؛ وكذلك سائر البهائم التي توصف بالشدّة لا تجري بأحمالها. ووجدنا ما يوصف من الوحش بشدّة العَدُوِّ لو حَمَلَ ثقيلًا لم يؤدَّ عُشْرَ جريه؛ فوقفنا على أن الفرس يحمل من فارسه وآلته وسلاحه وتحفاه وزاده وعلفه، وعَلِمَ إن كان في يد صاحبه في يوم ريح، زهاء ألف رطل، ويجري به يوماً جريداً لا يكاد يمل ولا يخَوَى بجوع ولا عطش؛ فعلمنا أنه لا شيء من البهائم أشد ولا أصبر ولا أجود ولا أفضل ولا أكرم ولا أقوى من الخيل. وأنزل الله عز وجل في ارتباط والاتفاق عليها آيتين من القرآن العظيم، قوله تعالى: "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً"، وقوله سبحانه: "الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ". قال أبو أمامة، وأبو الدرداء، ومكحول، والأوزاعي، ورباح ابن يزيد: هم الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله. وعن ابن عباس: "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية": قال: نزلت في علف الخيل. وروى أن أبا ذرٍّ أشار إلى بعض خيل كانت في الجبانة وقال: أصحاب هؤلاء هم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية وكان أبو هريرة إذا مر بفرس سمين تلا هذه الآية، وإذا مر بفرس أعجف سكت.

الباب الثالث

حفظ الخيل

وصونها والوصية بها

أعلم أن الأمم الماضية لم تنزل تُكثّر من الاعتناء بالخيل والتشريف لها، والثقة بها، والتعويل عليها في حروبها، والافتخار برَبَطِها؛ وإن كانت العرب زادت في فضلها ومزيتها ما فاتوا به الأمم، فلم تكن في الجاهلية ولا في الإسلام تصون شيئاً من أموالها كصياتتها ولا تكثرُ منه ككرامتها، لما كان لهم فيها من التباهي والتفاخر، والتنافس والتكاثر، والقوة والمنعة، والعز والرفعة.

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من أرغب العرب في الخيل وأصونهم لها، وأشدهم إكراماً وعُجباً بها، حتى إنه كان ليأنس بصهيلها، ويفضلها على الرجال فيما يُسهمه لها ويراهن عليها، وينهي عن استنتاج كرائمها من حمار أو هجين لا يشبه أصله أصولها، غيرة منه عليها، وإشفاقاً من فساد أنسالها، وقد كان عليه الصلاة والسلام وصّي بها، وعوتب على اشتغاله في وقت من الأوقات عن تفقّدها. جاء عن إسماعيل بن رافع: "إن النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ذات يوم فقام إلى فرسه فمسح عنقه ووجهه بطرف رداءه أو بكمّ قميصه، فقيل له: يا رسول الله! صنعت اليوم ما نراك صنعته؟ فقال: إني بتُّ الليلة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل".

وعن عائشة رضي الله عنها: "إنها خرجت ذات غداة، والنبي صلى الله عليه وسلم يمسح فرسه بثوبه، فقالت: يا رسول الله! بثوبك؟ فقال: ما يدريك؟ لعل جبريل قد عاتبني فيه الليلة؟ قالت: فولّني علفه، فقال لها: لقد أردت أن تذهبي بالأجر كله! أخبرني أن ربي يكتب لي بكل حبة حسنة". قيل: "وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة "نبوك" إذ قام إلى فرسه الضرب فعلق عليه شعره، وجعل يمسح ظهره بردائه، فقيل: يا رسول الله! أتسمح ظهره بردائك؟ قال: نعم، وما يدريك؟ لعل جبريل أمرني بذلك، مع أبي قد بت الليلة وأن الملائكة تعاتبني في حسّ الخيل ومسحها، وقال: أخبرني خليلي جبريل أنه يكتب لي بكل حبة أوفيتها إياه حسنه، وأن ربي يحطُّ عني بها سيئة؛ وما من امرئ من المسلمين يرتبط فرساً في سبيل الله فيوفيه عليه يلتمس له قوة إلا كتب الله له بكل حبة حسنة، وحط عنه بها سيئة".

وعن محمد بن عقيب عن أبيه عن جده قال: أتينا تميم الداري وهو يعالج عليق فرسه بيده، فقلنا له: يا أبا ربيعة! أما لك من يكفيك هذا؟ قال: بلى، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من ارتبط فرساً في سبيل الله فعالج عليه بيده كان له بكل حبة حسنة".

وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من كان له فرس عربي فأكرمه أكرمه الله، وإن أهانه أهانه الله".

وعن مجاهد قال: "أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إنساناً ضرب فرسه، فقال: هذه مع تلك؟ لتمسك النار، فكلم فيه، فقال: لا: إلا أن يقاتل في سبيل الله؛ فجعل الرجل يحمل عليه ويقول: أشهدوا! أشهدوا!".

وكانت العرب لقدرة الخيل عندها وإعزازها إياها تقتص من لطمه الفرس وتغير بذلك، وتطلب الثأر فيه كما تطلبه في أنفسها؛ ولا تلم بلطمة البعير؛ ذكر ذلك حماد الراوية عن سماك بن حرب، قال الجراح الممداني في ذلك:

ونهدة يُلطم الجاني بلطمتها كأنها ظل برد بين أرماع

ونهى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ركض الخيل إلا في حق. وعن الوضين بن عطاء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقودوا الخيل بنواصيها فتذلوها". وقال صلى الله عليه وسلم: "ارتبطوا الخيل، وامسحوا بنواصيها وأعجازها، أو قال: أكفأها، وقلدوها، ولا تقلدوها الأوتار". وكانوا يقلدون الخيل أوتار القسي لثلاث تصيبها العين، فنهاهم عليه السلام عن ذلك، وأعلمهم أن الأوتار لا ترد من قضاء الله شيئاً. وقيل نهاهم عن ذلك خوفاً على الخيل من الاحتناق. وقيل الأوتار الذحول، وهي الدماء: أي لا تطلبوا عليها الذحول التي وتثرثم بها في الجاهلية. والقول الأول أصح. وعن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تهلبوا أذنان الخيل، ولا تجزوا أعرفها ونواصيها، ودفأوها في أعرفها، وأذناها مذأبها". وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر، فإن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وجعل لكم الأرض، فعليها فاقضوا حاجاتكم". وقال مكحول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكرموا الخيل وحللوها". ونهى صلى الله عليه وسلم عن خصاء الخيل.

عن ثور بن زيد قال: لما غزا النبي صلى الله عليه وسلم تبوك أصاب فرساً "من جدس"؛ فحمل عليه رجلاً من الأنصار، وأمره إذا نزل أن يترل قريباً منه، شوقاً إليه وشهوةً لصهيله، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم لقي الأنصاري، فقال: ما فعل الفرس؟ قال: خصيناه، قال "قد مثلت به، مثلت به، مثلت به!" أعرفها أذفاؤها، وأذناها مذأبها، التمسوا نسلها، وبأهوا بصهيلها المشركين".

وعن علي رضي الله عنه: "إن النبي صلى الله عليه وسلم أهديت له بغلة فركبها، فقلت: لو حملنا الحمير على الخيل فكانت لنا مثل هذه! فقال عليه السلام: إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون".

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عاتبوا الخيل فإنها تعتب". أي أدبوها وروضوها للحرب والركوب، فإنها تتأدب وتقبل العتاب.

ويحكى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بني! إذا سافرت فلا تنم على دابتك، فإن النوم عليها يُسرع في دبرها، وإذا نزلت أرضاً مُكَلِّئَةً فأعطها حظها من الكلاء؛ وأبدأ بسقيها وعلفها قبل نفسك.

فوجب إكرام الخيل، وصورها، والاعتناء بها، والمنافسة فيها والمحافظة عليها، وتفقُّد أحوالها، والتصرف فيما يصلحه من سياستها، وعلى الرجل الشريف "في" محاولة أمور فرسه بيده، ولا غضاضة تلحقه بالتصرف في شأنه، بل يلحقه الذم بالتفريط في أمره، ويستحق اللوم على التتره عنه لكبره والاعتكال به على غيره، فينبغي للفارس ألا يغفل عن تفقد فرسه وموضعه ومربطه ومراغته، وجميع أحواله في سياسته وعلفه وسقيها، ولتكن أكثر عنايته بالنظر إلى قوائمه في كل الأحوال، يجسُّها بيده، فإن رأى تفزراً في عصبه أو أمارة نفخ أو امتلاء، أو علامة دم أو أدنى علة، فليبادر بعلاجها وملاطفتها في بدئها، ولا يتعبه معها، ولا يجرُّه يومئذ، فقد تبدو العلل يسيرة لا تكاد تبين، فرمما حمل عليه فعادت كباراً، أو كان منها سبب مُتَلِفٍ، وعلاجها في ابتدائها أقرب، وأمرها أيسر.

وليحذر كل الحذر من سقيه وأعلافه الشعير إثر الإعياء والتعب، وليمهل حتى يسكن ويجف عرقه ويهدأ هدوءاً تاماً. وكذلك يحذر من علف الشعير الكثير مع طول الراحة والجِمام وقلة الحركة والتصرف.

وكذلك يحذر من اختلاط الرُّطْب من الحشيش مع اليباس في علفه ما استطاع. وللضرورات أحكام يلحظ فيها الأوفق ما قَدَرَ عليه. فقس تُصَبِّ بحول الله.

الباب الرابع

فيما تسميه العرب من أعضاء الفرس

وعدد ما في ذلك من أسماء الطير

أعلاه "سَرَّاهُ"، وفي سَرَّاهُ "قَرَاه"، وهو "سَنَاسِنٌ" صُلْبُهُ، الواحدة "سِنْسِنَةٌ"، وهي رأس الضلع بالفقار.

وفي سراته "حَجَبَتَاهُ" وهما "حَرَقَفَتَاهُ"، "والحرقة" رأس الورك العليا، وهي التي تشخص إذا هُزِلت الدابة.

وفي سراته "قَطَّانَتُهُ"، والقَطَّانَةُ مقعد الرِّدْف، والرِّدْف هو الراكب خلف الفارس. وهو الرديف أيضاً. وفي سَرَّاهُ "مَوْقِفَاهُ"، والمَوْقِفَانِ أعلى خاصرتيه بين الحَجَبَتَيْنِ وضلع الخلف. وفي سَرَّاهُ "كَاثِبَتُهُ" والكَاثِبَةُ

موضع وسط السرج من مقدمه.

وفي سَرَاتِهِ "مَنْسِجُهُ"، والمنسِج موضع القربوس، وهو حيث فروع الكتفين مقدم الكاهل، وبذلك يسمى مَنْسِجًا. وفي السراة "العُدْرَةُ"، وهو شعر الكائبة، وهو منتهى العُرْف. وفي السراة "العُرْف"، وهو شعر عنقه ما بين عُدْرته وناصيته. ومن سَرَاتِهِ ناصيته لاتصالها بالعُرْف، والناصية هي الشعر المرسل على عينيه ووجهه حتى طرف عُرْفه من قُدَم. والعُرْف اسم الشعر خاصة؛ والمَعْرِفَة منبت العُرْف. ويكتنف المَعْرِفَة عِرْقَان يُقال لهما "العلباوان" واحدهما "علباء".

وفي سراته "رأسه" و "هامته"، فأما هامته "فَأُمُّ دماغه" وما استدار من رأسه بأذنيه. وسَمِيَت الهامة أم الدماغ لاشتمالها عليه كاشتمال الأم على ولدها. وفيها "القَمَحْدُوَّةُ"، وهي باطن القفا، وهي العظم الناتئ من القفا، و "قفا" الفرس مقعد عذاره من منبت عُرْفه.

و "سِمَامُ" الفرس قصب خياشيمه التي فيها الغضاريف، ويقال الغراضيف، وهو من المقلوب. وبعض العرب تقول: هي "سُمومهُ"، ويقال أيضاً بل هما عِرْقَان في خيشومه. وعلى كل قول فالسِمَام اسم لنخاريب الخياشيم.

وأما "نواهق" الفرس فهما عرقان في خيشومه، وقال أبو زيد الأنصاري: نواهقه قصبه أنفه، وقال ابن قُتَيْبَةَ: هما عظمان شاخصان في وجهه أسفل من عينيه. ووافقته على ذلك أبو عُبَيْدَةَ. وهو الصحيح و "اللَّحْيَانِ" العظيمان تحت الخدين؛ ومُسْتَدْقُهُمَا إلى تحت الفم "الصَّبِيَّانِ". و "الماضغان" أعالي اللحيين حيث المتحرك عند المضغ مما يلي الأذنين. و "اللَّهُزْمَتَانِ" مجتمع اللحم بين الماضغين والأذنين. و "الفكَّان" ملتقى عظمي اللحيين مع الصدغين.

فأما "شفتاه" فهما "جحفلتاه"، وأما "مَنْخِرَاهُ" فَمَخْرَج النَّفْسِ، وأما "نَخْرَتُهُ" فما فوق مَنْخِرِهِ من مستدق جحفلته وما لان من أنفه. وأما "خَدَاهُ" فصفحتا وجهه. وفي "سراته" "سِيسَاؤُهُ"، والسيساء موضع وسط السَّرْجِ، و "الصَّهْوَةُ" أوسط المتن إلى القطاة. وفي عنقه "لَبْتُهُ" و "صليفاه" و "جرأته". فأما لبته وهو موضع اللَّبِّبِ. وأما صليفاه فصفحتا العنق. ويقال للخرق الذي في الهامة المركب فيه العنق "الفهقة"، وهي الفقرة التي طرفها في الرأس. والفهقة منها هو الطرف المركب في الهامة، وهو مستدير بعض الاستدارة كأنه عِقَاصُ الْمُكْحَلَّةِ. وفيه خَرَقٌ هو مخرج النخاع من الدماغ "السَّلِيلِ".

وأما جِرَائُهُ فجلدة ما بين المَنْخَرِ إلى المذبح. ومجموع الحلقوم والمريء والأوداج يسمى "البَلْدَمُ". والمريء مدخل الطعام والشراب، والحلقوم ومخرج النفس والصوت. و "العُرْشَانِ" مُضْعَتَانِ من رءوس المنكبين إلى العرف، وهما قوائم العنق.

وفي العنق "الدَّسِيع"، وهو حيث يَدَسُّعُ البعير بِجِرَّتِهِ. وهو مغرز العنق في الكتفين.
 وفي العنق "قَصْرَتُهُ"، وهي ما قرب من الكاهل؛ وفي العنق "السالفة"، وهي موضع القلادة، والسالفة شيء واحد، وهي دائرة بالعنق من كل جهة مما يلي المذبح. "والهادي" هو العنق بجملمته، سمي بذلك لتقدمه على سائر البدن.
 وفي العنق "الودجان"، وهما عِرْقَان يكتنفان العنق يميناً وشمالاً، ويقال للأوداج أيضاً "الشوارب". و "أَسْلَةُ" العنق موضع القلادة منها.

فصل

و "بِرْكُهُ" هو صدره، "وجؤجؤه" هو "زوره". فالصدر ما عرض من ملتقى العضدين ومغرز العنق. والزور ما بين العضدين إلى موضع الحزام. و "جوز" الفرس مقعد الفارس من صلبه وما حاذاه من بدنه، وجوز كل شيء وسطه. وجملة مقعد الفارس يقال لها "الصهوة". وقد تقدم ذكرها. وموقع ذفتي السرج من الصهوة يقال لها "المعدان". وما ضمَّ عليه الحزام فهو "المخزم". ودون المَحْرَم إلى الخاصرتين "المركلان"، وهما موضع عَقَبِي الفارس، وبذلك سميًّا مركليْن. وهما "الجوانح". و "الفريصتان" مرجع المرفقين من "الدف"، والدفُّ: الجنب. ومرجع المرفقين هو منقبض الفؤاد. ثم "الضلوع" وهي أربع وعشرون ضلعاً. وفي الأضلاع "القَصْرِيَان"، وهما الضلعان في الجنين أسفل الضلوع وأقعرها. إحداهما منتهى الجانب الأيمن، والأخرى منتهى الجانب الأيسر؛ ويسمونهما ضلعي الخلف، وتليهما "الشاكلتان"، وهو ما اتصل من الفخذين بالخاصرتين، والقَصْرِيَان يقال لهما "الواهنتان". والضلعان اللتان تليان الواهنتين يقال لهما "الدائتان". والأوساط من الضلوع وهي أربع من كل جانب يقال لها "الحرج"، وهي المسقَّفات، وهي أطول الضلوع وأتمها، وإليها ينتفخ الجوف.

فصل

ونواحي جوفه يقال لها "ربض" البطن، وفي ربض بطنه "منقبه" و "سرتة" و "قنبه" و "رُفْغاه" و "شاكلته" و "طفطفتاه"، و "حالباه" و "صفاقه". فأما رِبْضُ البطن فمِرَاقُ البطن وأما منقبه فحيث ينقب البيطار قريباً من السرة، وأما قنبه فوعاء ذكره، وأما رُفْغاه فما بين الخُصْيَيْنِ والفخذين، وأما شاكلته فبين فخديه وبطنه، وهي التي تجش من الشاة والبقرة المَعْرِقَةَ السَّمَنَ، وأما طفطفتاه فما بين الجنب والحرقفة، وأما الحالبان فَعِرْقَان اكتنفا السرة من جانبيها، وأما الصَّفَاق فما بين الجلد والأعفاج. وبطنُ الفرس اعفاج وحوايا، ليس فيها كَرَش. و "الحقوان" هما ما ضُمَّت عليه القَصْرِيَان، وخنست عنه

الْحَجَبَتَانِ.

وفي قُنْبِ الفرس "نُضِيَّةٌ" و "فَيْشَلَه" "إحليله". فأما النُضِيُّ فجميع ذكره، وهو "العُرمول" أيضاً، وأما الفيشلة فرأس الذكر، وكذلك هو من الإنسان.

وأما الإحليل فللقرس إحليلان: فالخَرْقُ الذي بين الخُصِيَيْنِ وفيه يخنس الذكر: إحليل، والخَرْقُ الذي في رأس الذكر وهو مخرج البول: إحليل؛ ويشاركه في هذا الإحليل كل ذكر من الحيوان، ويشاركه في الأول ذكور ذوات الأربع خاصة. وصوت الذكر في قُنْبِه عند حركة الفرس يقال لها "الخُضِيعة"، ويقال إن الخُضِيعة صوت جوف الفرس. وجلد الخُصِيَّةِ يقال له "الصَّفَن". وفي الصفن "البيضتان". وفي جسم الفرس "القُحُقُح" وهو ملتقى الوركين من باطن، وباطنه "الخُورَانُ" وظاهره "الدُّبُرُ" وهو ما بين القحقح والعُصْعُص، "والعُصْعُص" طرف الصُّلب وهو منبت الذنب. وأعلى العصعص يقال له "العَجَب"، وأسفله "مغرز الذنب". فما غُلِظَ من أصل الذنب فهو "عُكُوتَه"، يلي العُكُوة "العَسِيب"، وهما عظم الذنب. ومستدقُّ الذنب يقال له شائلة" الذنب، و "السبيب" هو "هَلْب" الذنب، وهو شعره، هكذا قال أبو زيد الأنصاري، والمعروف عند أهل اللغة أن "السبيب" هو شعر الناصية والعُرف، وشعر الذنب "الهَلْب".

فصل

ويتصل بمَقَادِمِ الفرس "يداه"، وفي يديه "كتفاه"، وفي كتفيه "عَيْرَاهما" و "غُرُضُوفَاهما" و "أَخْرَمَاهُما" و "صدقاها". فأما الكتف فمعروفة وهي العظم العريض في أعلى المنكب، وأما عَيْرَاهُما فما ارتفع من عظم الكتف وهو الشاحص في وسط الكتف، وأما آخر ما هما فمتمتهى عَيْرِيَهُما حيث انتهت عند الصدقين، وأما الصدقان فنقرتان في رأس الكتفين. وفي غُرُضُوفِيِ الكتفين في أعلاهما "التَّعْضَان" وهما "الراعتان"، وهما لحم كثير على أسفل الغُرُضُوفِيَيْنِ وأما اللحمتان على أعلاهما فهما "الفريصتان". والغُرُضُوفُ ما كان من طَرَفِ الكتف متصلاً بالكتف وليس منها، كأنه عظم وليس به؛ ويقال له "غُرُضُوفٌ" أيضاً.

وفي يديه "مُنْكِبَاه"، ومنكباها ما ضم أسفل الكاهل من قبل القصِّ بأعلى الزَّور، و "الكاهلُ" ما ظهر من الزَّور، و "الزَّور" ما بطن من الكاهل.

وفي يديه "عَضُدَاه"، وفي عضديه "القييحان" و "الوابلتان"، فأما القبيحان فرعوس العضدين الملاقية للذراعين، وأما الواپلتان فرعوس العضدين مما يلي الكتفين، وهما عظمان ضخمان مشَّان، والمشاش هو

اللحم.

وفي يديه "ذراعاه". وفي الذراعين "المِرْفَقَان" وهما الإبرتان. فأما رصف ركبتيه فما بين الكُراع والذراع، وأعظم صغار مجتمعة في رأس الذراع، و"الإبرة" من الذراع هو الطرف المستدق الذي يحك منتهى الفريضة من الكتف وواسط عظام الحيزوم فويق المحزم.

و"الداغصة" عَظِيمٌ شكله قريب من الاستدارة يكون فوق الركبة؛ يديصُ أي يذهب ويحجى. ثم "الوظيفان". وفي وظيفيه "قَيْنَاه". والوظيف ما تحت الركبتين إلى الأرساغ، وأما القينان فزند الوظيفين. وفي الوظيف "العجاية"، وهي عصبه مستطيلة في الوظيف منتهاهما "الرُسْغ". وأما "الأبْجَلُ" فَعَرَقٌ مستبطن في الذراع إلى النحر، يقال إنه "الناحر" في النحر، وهو في الذراع الأجل. والرُسْغ منتهى العجاية.

وفي اليد "الرَّقْمَتَان"، وهما حلقتان في بطون الذراعين كأنهما كَيْتَان بالنار. وفيها "الثَّنَّان"، وهما الشعر فوق "أم القردان".

وفي اليد "الأشعر"، والجمع "الأشاعر". وهي أطراف الشعر عند الحافر. وفي اليدين "الفصوص"، وهي مفاصل ركبتيه وأرساغه. وفيهما "السُّلَامِيَّات"، وهي عظام الرسغين. و"الشَّوَى": القوائم.

ويقال لأعالي الفرس "سماؤه"، ولأسافله "أرضه".

ثم "الحافر"، وفي الحافر "دخيسه" و"نسوره" و"حواميه" و"حواشره" و"دوابره" و"سنبكه" و"إنسيه". فأما الحافر فهو اسم جامع، وهو بمنزلة الظلف من الشاة. وأما دَخيسه فعظم الذي في جوف الحافر كأنه ظهره. وأما نُسوره فهي اللواتي يكنن في باطن الحافر كأنها خطوط الكف وأما دابرة الحافر فمؤخره، وهو الذي يحفى وتأكله الأرض.

وأما السنبك فهو مقدم الحافر، وأما الحوامي فهي ما يكتنف السنبك عن يمينه ويساره، وأما "الحَوَشِب" فهو عظم الرسغ الداخل في الحافر كأنه نصل؛ وأما إنسيه فما أقبل من حوافره بعضها على بعض في يديه ورجليه؛ وأما وَحْشِيَّه فما كان خارجاً من حوافر يديه ورجليه.

فصل

ويتصل بمآخير الفرس رجلاه، وفيهما "وَرِكَاه". وفي الوركين "حَرَقَتَاهما" و"حارقتاهما" و"نقرتاهما" و"قوارهما".

فأما وركاهما فالعظمان الأعلىان في العجز، وأسفلهما القحح، وما بين ذلك "الخوران" وهو "الدبر".
وأما حرقفتاهما فالعظمان الشاخصان في معلق الوركين. و "الجامعتان" هما اللتان اكتنفا الذنب عن يمين
وشمال. وهما موضع "الرقمتين" من الحمار. وفي فخذي الفرس "الحماتان" و "الكاذتان" و "الحادبان".
فالحادبان أسفل من الذنب مُضغتان في ظاهر الفخذين. والكاذتان تحاذيانهما من باطن الفخذ مما يلي
الشاكلة. والحماتان عند طرفي الفخذين مما يلي الساقين، ويليهما من فوقهما "الربلتان". و "الغرابان"
عظمان في وسط الوركين، و "النقرتان" عصبتان في رأس الفخذ؛ و "النسا" عرق في باطن الرجل كلها؛
و "رأس النسا" في أعلى "الصلا"، وهي نقرة يقال لها "القلت". ثم "الفخذ" "خصائل" الواحدة "خصيلة"
وهي لحم مجتمع، ولكل خصيلة "غر" والغر خمسة بين الخصيلتين كأما فرقت بينهما.
وفي الرجل "الثفتتان"، وهما موصل الفخذين في الساقين، وهما عصبتان كأهما عظمان، ثم "الساقان"؛ وفي
الساقين "التقوان"، وهما العظمان اللذان فيهما المخ، واسم المخ "النقي"، وفيهما "الحماتان"، وهما مُضغتان
في ظاهر الساقين، وفيهما "العرقوبان"، وهما المفصلان المتصلان بالوظيفتين. وبين الساق والوظيف
"الكعبان"، وهما عظمان عندهما طرف الساق وطرف الكراع؛ ثم "الوظيفان"، وهما موضع، الشكال من
رجل الدابة.

وفي الوظيف "عجائته"، وهي عصبة تحمل الرجل كلها، و "الرُسغ"، هو المفصل بين الساق والوظيف.
وهما وظيفان، ورُسغان، وعجائتان.

فصل

ويسمى في الفرس من أسماء الطير: "الهامة" و "النسر" و "التعامة" و "الفرخ" و "الصرد" و "العصفور" و
"الديك" و "الصلصل" و "الدجاجة" و "الناهض" و "الغر" و "السُمائي" و "الغراب" و "الخُطاف" و
"السمامة"، و "الصقر" و "القطاة" و "الحُر" و "الحداة" و "الحرب".

حدّث الأصبغي أن هارون الرشيد كان له فرس أدهم يقال له "الربد" فابتهج به يوماً، فقال: "يا
أصبغي! خذ بناصية "الربد" ثم صفه من "قوتسه" إلى "سُنْبِكِه"، فإنه يقال إن فيه عشرين اسماً من أسماء
الطير؛ قال: فقلت نعم يا أمير المؤمنين! وأنشدك شعراً جامعاً لها من قول أبي حزرّة. قال: فأنشدنا الله
أبوك! فأنشدت:

ما بين هامته إلى النسر

وتمكن الصردان في النحر

وأقب كالسرحان تم له

رحبت نعمامته ووفر فرخه

هَامِ أَشْمٌ مُوْتَقٌ الْجَذْرِ	وَأَنَافٌ بِالْعَصْفُورِ فِي سَعْفٍ
وَنَبِتٌ دَجَاجَتَهُ عَنِ الصَّدْرِ	وَأَزْدَانٌ بِالذِّيكَينِ صُلْصُلُهُ
فَكَأَنَّمَا عُنْمًا عَلَى كَسْرِ	وَالنَّاهِضَانِ أَمْرٌ جَلَزُهُمَا
مَا بَيْنَ شَيْمَتِهِ إِلَى الْغُرِّ	مُسْحَنَفِرِ الْجَنبَيْنِ مُلْتَمِّمٍ
وَأَدِيمِهِ وَمَنَابِتِ الشَّعْرِ	وَصَفَّتْ سُمَانَاهُ وَحَافِرَهُ
فَأَبِينِ بَيْنَهُمَا عَلَى قَدْرِ	وَسَمَا الْغُرَابِ لِمَوْقِعِيهِ مَعًا
وَنَأْتِ سَمَامَتَهُ عَلَى الصَّقْرِ	وَإِكْتَنَ دُونَ قَبِيحِهِ خُطَافَهُ
فَنَأَتْ بِمَوْقِعِهَا عَنِ الْحُرِّ	وَتَقَدَّمَتْ عَنْهُ الْقَطَاةُ لَهُ
خَرَبَانَ بَيْنَهُمَا مَدَى الشَّبْرِ	وَسَمَا عَلَى تَقْوِيهِ دُونَ حَدَاتِهِ
بِتَوَائِمِ كِمَوَاسِمِ سُمُرٍ	يَدْعُ الرُّضِيمَ إِذَا جَرَى فَلَقَا
كَفَّتِ الْوَثُوبَ مَشَدَّدِ الْأَسْرِ	رُكْبَانَ فِي مَحْضِ الشَّوَى سَبِطٍ

الهامة: أعلى الرأس، وهي أم الدماغ، وهي من أسماء الطير، وقد تقدم ذكرها. والنسر: هو ما ارتفع من بطن الحافر "و" من أعلاه كأنه التوى والحصا، وهو من أسماء الطير. وقد تقدم أيضاً ذكره. والنعامة: جلدة رأس الفرس التي تغطي الدماغ، وهي من أسماء الطير. والفرخ: هو الدماغ وهو من أسماء الطير. والصردان: عرقان في أصل اللسان مكتنفان باطن اللسان فيهما الرقيق ونفس الرثة، وهما من أسماء الطير. وفي الظهر صرد أيضاً، وهو بياض يكون في موضع السرج من اثر الدبر. والعصفور: أصل منبت الناصية، والعصفور أيضاً: عظم ناتئ في كل جبين، والعصفور أيضاً: من الغرر، وهي التي سالت ورقته ولم تجاوز إلى العينين ولم تستدر كالفُرحة، وهو من أسماء الطير. والديك: هو العظم الناتئ خلف الأذن، وهو الذي يقال له الحشاء. والصُّلُّ: بياض في طرف الناصية، ويقال: بل هو أصل الناصية. والدجاجة: اللحم الذي على زوره بين يديه. والديك، والصُّلُّ، والدجاجة من أسماء الطير. والناهضان: واحدهما ناهض، وهو لحم المنكبين، ويقال: هو اللحم الذي يلي العضدين من أعلاهما، والناهض: فرخ العقاب، وهو من أسماء الطير. والغر: هو من الفرس عضلة الساق، ومن الطير هو الذي يسمى أيضاً بالرحمة. وقد تقدم ذكره. والسُّمَانِي من أسماء الطير، قال ابن عبد ربه: وهو موضع من الفرس لا أحفظه. والغراب: رأس الورك، فيقال للصلوين الغرابان، وهما مُكْتَنَفَا عَجَبِ الذَّنْبِ؛ ويقال: هما ملتقى أعالي الوركين، وهو من أسماء الطير، وقد تقدم ذكره. والخُطَاف: من أسماء الطير، وهو حيث أدركت عقب الفارس إذا حرك

رجليه. ويقال لهذين الموضعين أيضاً: المركلان. والسَّمَامَةُ: دائرة تكون في عُنُقِ الفرس، وهي من أسماء الطير. والصَّقر: أحسبها دائرة في الرأس ولا أقف عليها، وهي من أسماء الطير. والقَطَاةُ: مقعد الرِّدْف وهي من أسماء الطير، وقد تقدم ذكرها. وألْحَرُّ: من الطير، يقال إنه ذَكَرَ الحَمَام، وهو من الفرس: سواد يكون بظاهر أذنيه. والحِدَاةُ: من الطير، وأصلها الهمز ولكنه خُفِفَ للضرورة، وهي سالفة الفرس. والخَرَبُ: هو الذي تراه مثل المدهن في وَرِكِ الفرس، وهو من الطير ذَكَرُ الحَبَارِي.

الباب الخامس

فيما يستحب في أعضاء الفرس من الصفات

وما يستحسن أن يكون شبيهاً من الحيوان

الحسن في جميع أعضاء الفرس مقرون بالجودة، ودليل على العتق، والشدة، ومجموع ذلك هو الكرم. وقلما تجتمع كلها في فرس واحد، ولكن حظها من الكرم بقدر ما اجتمع له منها. فمن مستحسن أوصاف الأعضاء طول نصل الرأس، وطوله: بعد ما بين ناصيته وجحفلته. ومنها هرت شدقيه، وشدقاه مشق فيه إلى ماخر لحية، وهرتها: طول شقهما، وذلك ليتمكن من إخراج النفس. ومنها رقة جحافلها وسبوطتها، وجحافلها: ما يتناول به العلف، وأحدها جحفلة. ومنها طول لسانه وذلك لكثرة ريقه، ويستحب كثرة ريقه للإراحة. ومنها رقة أرنبته، وأرنبته: ما بين منخرية، وذلك للحسن ويستدل به على العتق. ومنها رُحْبٌ منخرية ودقتها وطول شقهما وطول أعاليهما وهرت أسافلها، فالرُحْبُ لسرعة الإراحة، والدقة للحسن. ومنها لطف مُستطعمه، ومستطعمه ما بين مرسنه إلى طرف جحفلته، وذلك للحسن. ومنها تداني صبي لحية، وهما مجتمع أطرافها من أسفل، وذلك للحسن. ومنها دقة مرسنه ولطفه، ومرسنة موضع الحكمة على أنفه، وذلك للحسن. ومنها اعتدال قصبه أنفه، وهي ما بين خليقاته، وخليقاؤه: حيث التقت جبهته وقصبه أنفه من مستقدمهما، وذلك للحسن. ومنها دقة عرضي أنفه وسهولتهما، وعرضاه: مبتدأ ما انحدر من قصبه الأنف من جانبيهما جميعاً، فذلك للحسن، وهو دليل العتق. ومنها رقة نواهقه وأن لا تنتشر في وجهه، ورقتهما: قلة ولصوق الجلد فيهما، وذلك للحسن، ويستدل به على العتق. ومنها عري سمومه، وسمومه: مارق عن صلابة اللحم من جانبي قصبه أنفه من أعلاهما إلى نواهقه، وهي مجاري دموعه، وذلك للحسن ويستدل به على العتق. ومنها إسالة خديه وسهولتهما وعرضهما وأسالتها: طولهما، وذلك للحسن ويستدل به على العتق. ومنها رُحْبُ شجره، وشجره: ما بين لحية

من أسافلها، وذلك لسعة مخرج نفسه. ومنها رقة جفونه، وهي: ما انطبق على المقلتين من الجلد من أعاليهما وأسافلها، وذلك للحسن، ويُستدل به على العتق. ومنها نَجَلٌ مقلتيه وصفأؤهما وشدة سوادهما، والمقلتان: العينان، ونَجَلُهُما: سَعَتُهُما، وذلك للحسن. ومنها بُعدُ مدى طَرَفِه وحدته، وذلك لصدق الصرامة. ومنها ضيقٌ واحتشأؤهما، وبُعدُ عينيه من أذنيه، ووقباه: النقرتان فوق عينيه. ورقهٌ حاجبه مما يُستدل به على عتقه. ومنها عَرَضُ جبهته وعُرْيُها ولصوق جلودها بها، وجبهته: ما تحت أذنيه وفوق عينيه من هامته. ومنها طول أذنيه وجلدُهُما: لُطْفُ طَيِّبِهما، وذلك للحسن. ومنها رقة الأذنين ولينبهما وتَطَرُّيقُهُما، والتطريقُ: التأليل، وهو دقة أطرافهما، وذلك للحسن، ويستدل به على العتق. ومنها في الأذنين شدتُهُما، وذلك للصدق والصرامة. ومنها سُبُوطَةٌ ناصيته وطولها وشدة سوادها ولينبها. ومنها لين الشكير وطمأنينته في منبته، والشكيرُ: ما أطاف بالناصية من قصير الشعر، وهو مما يستدل به على العتق. قال أبو عبيدة: وهو أبين شاهد في الفرس على عتقه، فأُن وجدت فيه خشونة لم يسلم من هُجْنَةٍ. ومنها طول عنقه ما بين ناصيته إلى عُذْرَتِه، وعُدْرَتُه: ما كان على كاهله من شعر عُرفِه، وذلك لحسنها وشدتها واستعانة الفرس بها في جريه، أعنى العُنُق، وهي مؤنثة؛ قال أبو عبيدة: والذَكَرُ أحوج إلى طول العُنُق من الأُنثى وإنما قال أبو عبيدة ذلك لأن عُنُقَ الذَكَرِ غليظة، فطولها متمم لعُنُقِها وحسنها، وعُنُقُ الأُنثى رقيقة، فطولها يُضعفها ويذهب بجمالها. قال ابن قُتَيْبَةَ: "ويستحب في العنق الطول واللين، ويكره فيها القصر والجسأة". وذَكَرَ في حد الطول المستحسن أن سليمان بن ربيعة فرَّقَ بين العتاق والمُجْنُ بالأعناق، فدعا بطست من ماء فوضعت بالأرض، ثم قدمت الخيل إليها واحداً واحداً، فما ثنى سُنْبِكِه ثم شرب هجته، وما شرب ولم يثن سُنْبِكِه جعله عتيقاً. ومنها رقة مذبحه وهو منقطع عنقه مما يلي رأسه، ذلك للحسن.

ومنها دقة سالفته، وسالفته: ما دقَّ من أعلى عنقه إلى قَدَّالِه خلف حُشَشَاوِيِه، وحُشَشَاوَاهُ: العظمان الشاحصان خلف أذنيه، وذلك للحسن والاستدلال على العتق. ومنها إفراع عَلَائِيَّةٌ وشدة مركبِهما في كاهله، وعلباواه: عصبتان تحت العُرَشَيْنِ، والعُرَشَانُ: منبت عُرفِه. وذلك أشد لوصل عنقه في الكاهل. وإفراع العَلَائِيَّةِ هو ارتفاعهما، وذلك أحسن في المنظر في انصباهما. ومنها عرض عنقه من أصلها، واضطراب جِرَانِه، ويكون ذلك من إفراع العَلَائِيَّةِ وانحدار الجِرَانِ، وذلك لشدة العُنُق؛ وجرانه: ما فرق مريته وحُلقومه من جلدة باطن عنقه، وذلك أرحب لمخرج نفسه. ومنها إشراف هَادِيِه، وهاديِه عُنُقِه، وذلك للشدة والحسن. ومنها إفراع كَتْفِيِه في حَارِكِه وغموضها فيه من أعاليهما، وإفراعُهُما: هو ارتفاعهما في حاركه. ومنها عُرَى أُحْرَمِيَّةٍ وتَأْنِيْفُهُما، والأحْرمان: هما رُءُوس الكتفين من قبل العضدين،

وعُرِيهَما: قلة لحمهما، وتَأْنِيْفُهُما: حدتهما. فإذا كانت كذلك بَعُدَ ما بين منكبَيْهِ ورحب لبانه وما بين جوانحه لمخرج نفسه، وأشد التام رعوس العضدين في الكتفين. ومنها تُتَوَعَّدُ لحمهما، ومَعْدَاةُ: اللحم الغليظ المجتمع في جنبه خلف كتفيه، وهما موضع الدَفَّتَيْنِ من السرج.

وَأَسْتَحَبَ ذلك لشدهما وإجفار ما تحتها من الضلوع لِتَنَفُّسِهِ بموضع الرِّبْلَتَيْنِ، لأههما منتهى الرِّبْوِ، فإذا ضاق مكانهما وانتفختا ضغطتا القلب فَعَمَّتَاهُ فأخذه لذلك الْكَرْبُ. قال ذلك كله أبو عبيدة. ومنها قصر ظهره، وحدُّ ظهره: ما بين منقطع حاركة من أسفله إلى ما بين الْقُصْرَيْنِ من صلبه. ومنها اعتدال صلبه، واعتداله: استواؤه وعرض فقره، والفقر جمع فَقرَة، وهي خَرَزُ الظهر، ويقال لها الْمَحَالُ، وذلك مراد للشدة والحسن. ومنها لَحْبٌ مَتْنِيَّةٌ، ولُحْبُهُ: ضمور لحمه، وFRS مَلْحُوبٌ منه.

قال أبو عبيدة: وقد أَخْطَى، وهو شديدٌ، والخَطَا. هو ارتفاع لحم المتنين على الصَّلبِ واندماجه. قال غيره: إن المَلْحُوبُ أشد احتمالاً للرِّبْوِ من الأَخْطَى. ومنها أن يكون رحيب الجوف. ومنها إجفار جنبه، وإجفارهما: انحناء ضلوعهما من أعاليهما واتساعها وطولهما، ويستحب عرضهما وسُبُوغ الأضلاع فيهما، والسُّبُوغ: الطول فيهما.

ومنها رُحْبُ إهابه، وإهابه: جلده، ورحبه: سعته. ومنها دخول موقفيته، وموقفاه: ما دخل من وسط الشاكلة إلى منتهى الأظرة، وذلك للشدة. ومنها شدة حَقْوُهُ، وحَقْوُهُ: مَوْصِلُ صلبه في عَجْرِهِ مستديراً بما ظهر منه وما بطن.

ويستحب أيضاً عَرْضُهُ وكثرة لحمه واستواء لحمه مع ظهره وقربه من أظرتِه. ومنها إشراف قَطَاتِهِ وكثرة لحمها، وقطاته: مقعد الرِّدْفِ خلف الفارس، وذلك لشدة وصل " " عَجْرُهُ في صلبه. ومنها إشراف حَجَّتِيهِ وتَأْنِيْفُهُما وبعدهما بينهما، وحَجَبَتَاهُ: هما حرقفتاه. ومنها عرض وَرَكَيْهِ وكثرة لحمهما وطولهما ولصوق الجلد بهما. قال أبو عبيدة: وإن يكون فيهما سفح قليل أَصْدَقُ لهما في الجرى، يعنى بالسَّفْحِ العرض في استناد، مأخوذ من سفح الجبل. قال: والتربيع أحسن لهما في النظر. وعَرْضُ الوركين خير لهما من الطُّول. ومنها شدة عَجْيِهِ وغِلْظُهُ من غير إفراط في ارتفاع ولا غموض، وذلك لشدته. قال أبو عبيدة: وأحسن حالاته التوسط بين الغموض والإشراف. ومنها استيفار برُكْتِهِ في نحوه. وبرُكْتُهُ: من حيث انضمت الفَهْدَتان من أعاليهما إلى الذي دون العضدين، إلى غُضُونِ الذراعين من باطنهما.

ومنها خروج جَوْجَتِهِ، وجَوْجُوهُ: ملتقى فهدتيه من أسافلها، وفَهْدَتَاهُ: اللحمتان الناتنتان في صدره. ومنها عَرْضُ بَلَدَّتِهِ، وبلدته: منقطع الفهدتين من أسافلها إلى عضديه، ومنها رَهْلُ صدره وبركته وجوجته وفهدتيه وبلدته، وذلك أشد لصدره وأشرح لمنكبَيْهِ. ومنها قَصْرُ عضديه، وذلك ليخرج مَنَكِبَاهُ ويدخل مِرْفَقَاهُ، لأنها إذا قصرت دفعت مُرْكَبَ الكتف فيها وأتبعها الذراع فدخلت؛ وإذا طالت رفعت

رأس الذراع حتى يخرج مرفقاه، وذلك أشد لتفرق يديه. وعضداه: هما العظام اللذان بين كتفه وذراعيه.

ومنها انحدار قصه: وقصه: ما بين الرهابة إلى منقطع أسفل الفهدين وآخر فلك الزور، وعندها تنقطع الجوانح وتفرق الضلوع، وذلك أسبغ لصلوعه وأتم لأخذه. ومنها طول ذراعيه وعبالتهما، وذراعه: ما بين عضديه وركبتيه، وعبالتهما: عظمهما. ومنها رخاوة مردغته وعظم ناهضه، والمردغة: هي اللحم التي في أصول العضدين من خلفهما مما يلي الفريضة، والناهض: خصيلة العضد الناشزة فوقه، فكلا عظمت وعترت وغلظت فهو خير له. ومنها كثرة الغضون بين العضدين والفهدين وباطن الذراع والإبط من الجلد، وذلك أسرح ليديها إذا جرى. ومنها لطف زوره من موضع المرفقين وعريه، وزوره: قصه، وقد تقدم ذكره. ومنها عظم عظم الذراعين وغلظ جباههما وظهور غرورهما؛ فجاهلها: العصب الظاهر عليهما، والغرور: بين الحبال، وهي الطرائق التي تفرق خصائل اللحم. ومنها لطافة ركبتيه وشدة سمومهما، وإكراب أسرهما وقرب ما بينهما، وذلك للشدة وقلة الفتور، لأنها وصل بين الذراع والوظيف، فإذا كانتا كان أبطاً لفتورهما. ومنها قصر وظيفي يديه وعرضهما وأحديداب فنيتهما، فوظيفاه: ما بين ركبتيه وجبتيه، وقيناهما: الظنوبان، وهما مقاديم وظيفي اليدين، ولصوق جلدهما بهما، وقلة حشوهما، وفرش عصبهما وعرضه وعبالتهما. ومنها لطافة جبته وتمحصها، وجبته: ملتقى الوظيفين وأعلى الحوشب. ومنها صغر العجاية وقلة لحمها وغموض العصب فيها وصغر قمعتها، والعجاية: مؤخر الجبة حيث تفرق عصب يديه، وفيها منبت الثنة، والثنة: الشعر النافر في مؤخر الجبة، وقمعتها ما في جوف الثنة من طرف العجاية الذي لا ينبت شعراً.

ومنها إكراب رسغيه وعبالتهما، وإن يكون فيهما غلب، والرسغ ما بين الجبة والأشعر، وإكراهه: شدة أسرة، وعبالته: غلظه، وغلبه: احديدابه مع غلظه. ومنها عرض باطن الحوشب من موضع أم القردان، والحوشب: عظم الرسغ، وأم القردان: هي الهزمة في باطنه، وذلك للشدة. ومنها عظم حافره، وإفجاج حواميه، وحده سنكه. ومنها بعد آلية حافره من الأرض، والآلية: اللحم التي في أعلى الحوامي من مؤخر الأشعر، واستحب ذلك لصبره على صك الأرض واحتماله ما فوقه من الثقل، وفيه مع الشدة الحسن. ومنها كثرة لحم كاذبتهما وعرض فائلهما؛ والفلائن: دوائر الفخذين، وهما أسفل من الكاذبين.

ومنها عظم الربلتين، والربلتان: ملتقى باطن الفخذين من أعلاه من اللحم، وذلك مستحب لتمام شدة الفخذين، وعليهما يعتمد في عدوه. ومنها توليج ثفتيته، وهو انضمام بعضها إلى بعض ولصوق الجلد على رعوسهما، والثفتان: هما مركب الفخذين في أعلى الساقين. قال أبو عبيدة: واستحب ذلك لأنهما إذا

وُلجنا كان أجمع لرجليه في أخذه، وأقوى لهما على ما فوقهما من الثقل، وأصبر له على طول الحُضْر، وذلك لاجتماعهما ودخولهما تحت ما فوقهما من ثقل جسده، وكره انقلاهما وخروجهما للضعف، لأن الرجلين إذا ما انقلبت تَفَتَّتاها اتسع رُفْعُهُما وخلا ما تحت جسده لانفتاحهما، فكان أسرع لفتوره، وأضعف لرجله.

ومنها قَصْرُ ساقيه وعَرَضُهُما، ويستحب التحنيط فيهما، وهو تقويتهما، وعِظْمُ حَمَاتِيَهُما وانتَبَارُهُما، والحماة: اللحم المجتمع الشاخص في وسط الساقين من ظاهرهما، وعُرَى بواطنهما من اللحم، وهو ظهور نَسِيهِهُما، والنَّسَا: عِرْقٌ في باطن الساق ما بين الحماتين والكعبين، وهذا كله مستحب لشدة انقباض الرجلين في العَدْو، وشدة الضَّرْحِ بهما، وسرعة الضَّبْرِ. ومنها صغر كعبيه وصَمْعُهُما ولصوق الجلد بهما وعُرَى مَنجَمِيَهُما؛ وكعباه: هما بين الوظيفين والساقين؛ وصمعهما: صلابتهما واكتنازهما؛ والمَنجَمَان: عظامان شاخصان في باطن الكعبين، وذلك لأن الكعب وصل يُتَاج إلى شدته، لطول صَكِّه الأرض برجله وشدة قبضها، فإذا لم تكن كذلك لم يَضْبِر. ومنها تَأْنِيفُ عُرْقُوبِيهِ واستواؤُهُما بَعَصَبِ مؤخر رجله وشدة لصوق الجلد بهما، واستحب ذلك منه للشدة وانقباض الرجلين.

ومنها طول وظيفيه وعرضهما إذا استعرضتهما، وحِدَّتْها ودقَّتْها إذا استقبلتهما، واستواؤُهُما إذا استدبرتهما، ويستحب ذلك كله للشدة والصبر في العَدْو، وهو لُحُوقُ الرَّجْلَيْنِ باليدين. ويستحب في الرجلين من أوصاف الرُّسْعَيْنِ والحافر ما يستحب في اليدين، غير أن انتصاب الرسغين في الرجلين مَعْتَفِر، وليس هو في اليدين كذلك.

فصل

ويستحب للفرس أن يكون شبيهاً في بعض خَلْقِهِ لبعض الحيوان، فمن ذلك الظَّبْيُ، والكلب، والحمار الوحشي، والثور، والنعام، والبعير، والأرنب، والذئب، والثعلب. فمما يستحب في صفة الفرس من خَلْقِ الظبي: طول وظيفي رجله، وتَأْنِيفُ عُرْقُوبِيهِ، وعِظْمُ فخذيه، وكثرة لحمهما، وعِظْمُ وَرْكِيهِ، وشدة متنه وظهره، وإجفار جنبيه، وقَصْرُ عضديه، وَنَجَلُ مقلتيه، ولحوق أياطله.

ويستحسن فيه من خَلْقِ الكلب: هَرَّتُ شذقيه، وطول لسانه، وكثرة ريقه، وانحدار قصه، وسبوع ضلوعه، وطول ذراعيه، ولُحُوقِ بطنه.

وحكى أن مُسَلِّمَ بنِ عَمْرٍو أرسل ابن عم له إلى الشام ومصر ليشتري له خيلاً، فقال: لا علم لي بالخيال،

وكان صاحب فنص، فقال له: ألسنت صاحب كلاب؟ قال: نعم! قال: فانظر كل ما تستحسنه من الكلب الصابر فاستعمله في الفرس. قال: فقدم بخيل لم يكن في العرب مثلها. ومما يستحسن فيه من خلق الحمار الوحشي: غلظ لحمه، وظمأ فصوصه، وتمحص عصبه، وتمكن أرساغه، وتمحيصها، وعرض صهوته. ومما يستحسن في خلقه من خلق الثور: عرض جبهته، وقلة لحمها، واضطراب جرانه، وطول ذراعيه، وعرض كتفيه.

ومما يستحسن في خلقه من وصف النعامة: طول وظيفيها، وقصر ساقها، وعري أيسنها. ويستحسن فيه من البعير: طول ذراعيه، وعبالة أو ظفته. ومن الأرنب: صغر كعبيها. ومن الذئب: شح نسيه. ومن الثعلب: تقريه.

وأول من شبه الخيل بالظبي، والسرحان، والنعامة، امرؤ القيس بن حجر، فقال في وصف فرسه:

وقد اغتدى والطير في وكناتها	بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً	كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يرل اللبد عن حال متته	كما زلت الصفواء بالمتنزل
مسح إذا ما السابحات على الونى	أثرن غباراً بالكديد المركل
على العقب جياش كأن اهترامه	إذا جاش فيه حميه غلي مرجل
يطير الغلام الخف عن صهواته	ويلوى بأثواب العنيف المتقل
درير كخزروف الوليد أمره	بقلب كفيه بخيط موصل
له أطلا ظبي، وساقا نعامة	وإرجاء سرحان وتقريب تنقل

وقد أعاد هذا التشبيه في قصده أخرى بائية فقال:

وقد اغتدى والطير في وكناتها	وماء الندى يجري على كل مذنب
بمنجرد قيد الأوابد لآحه	طراد الوادي كل شأو مغرب
على الأين جياش كأن سراته	على الضمر والتعداء سرحه مرقب
بياري الخنوف المستقل زماغه	ترى شخصه كأنه عود مشجب
له أطلا ظبي وساقا نعامة	وصهوة عير قائم فوق مرقب

فأخذ الشعراء هذا التشبيه من امرئ القيس فجروا عليه.

الباب السادس

ألوان الخيل

وذكر الشيات والغرر والتحجيل والدوائر

أما أصول الألوان فهي أربعة: بياض، وسواد، وحمرة، وصُفرة. والحقيقة أن الأصل البياض والسواد، لأن الحمرة والصفوة إليهما يرجعان، ومنهما ينشآن.

ذَكَرُ البياض: الناصع البياض هو "أشهبُ قِرطاسي"، فإن خالطته صفرة فهو "أشهب سَوْسِي". فإن خالطته حمرة فهو "صنَّاي"، فإن خالطه سواد فهو "حديدي"، فإن غلب البياض فهو "كافوري"، ومثله "أشهب واضح". فإن كان أبيض فيه بَقَعٌ تخالفه فهو "مُوَلَّع"، فإن صغرت البقع فهو "أبقع"، فإن كانت نُكْتُهُ أكثر فهو "مُفَلَّس"، فإن زادت فيه فهو "مدنر"، فإن تفرقت البقع عليه فهي "الشام"، وهو "أشيم"، وإن كانت نقطة صغاراً وكثرت فهو "أرقط"، فإن زادت صغراً وكثرت فهو "أنمر"، فإن تناهت صغراً فهو "أمش" و "أبرش"، فإن كانت شبيهة طرائق فهو "مجرع"، فإن صغرت الطرائق فهو "مُعرب".

السواد: الخالص السواد هو "أدهم"، فإذا كان حالك السواد فهو "غَيْهي"، فإذا أشد سواده حتى يضرب إلى الخُضرة من شدته فهو "أخضر"؛ وهو "الدَّيزَج" في كلام العجم؛ فإن كان بين الدُّهْمَة والخُضرة فهو "أحوى"؛ فإذا خالطت سواده شُفْرَة فهو "أدبس"، فإن خالطه أدنى حمرة أو صفرة فهو "أحم"، فإن كان سواده يضرب إلى البياض حتى يقرب من لون الرماد فهو "الأورق"، ونحوه "الأكهب"، ودونه من السواد "الأريد".

الحمرة: الأحمر الخالص إذا اسودَّ عرفه وذيله فهو "ورْد"، والأنتى "وردة" والجمع "وراد"، فإن كانت حمرة في سواد فهو "كُميت"، وكذلك الأنتى بلفظ الذكر، وكذا هو مصغر؛ لا يقال كَمَتٌ ولا كَمْتَةٌ، فإن اشتدت حمرة في السواد فهو "كُميتٌ مُدَمِّي"، فإن صفرت حمرة الورْد شيئاً من غير سواد، وعرفه وذيله إلى البياض فهو "أشقر"، فإذا كانت كمتته بين السواد والبياض فهو "ورد أعبس"، وهو "المسمند" عند الفرس، وإذا قارنت حمرة السواد فهو "أصدأ"، مأخوذ من صدأ الحديد، فإن زاد السواد شيئاً على الحمرة فهي "الجُووَة"، والفرس "أجأي".

الصفرة: الأصفر الخالص إذا كان بلون الذهب فهو "أصفر فاقع"، فإن كان عرفه وذيله إلى البياض فهو "أصفر فاضح"، وهو موصوف بالضعف في الأكثر، فإن كان عرفه وذيله أسودين فهو "أصفر مُطَرَّف". ويكون التطريفُ سوادَ الأذنين دون سائر البدن أي لون كان، فإن كان الأصفر مطرِّفاً أسود القوائم فهو

"أَرْمَدُهَا"، وإن كانت بظهره طريقة سوداء "سَحَائِي" وتلك الطريقة هي السحابة. فإن كان بقوائم الأصفر خطوط سود فهو "مَوْشِي"، فإن كان لا شَيْبَةَ به ولا وَضَحَ أي لون كان فهو "مُصْمِت" و "هَيْم" و "الْبَلَقُ" في الخيل ضَعْفٌ ونقص من قوتها. قال محمد بن سلام: لم يسبق الحلبَةَ فرس أبلقٌ ولا بُلْقَاءُ.

فصل في الشيات

أصل الشَيْبَةِ: العلامة، وهي فعلة من الوَشَى، ثم صار كل لون مخالف لمعظم لون الدابة شَيْبَةً، ومنه قوله تعالى "لَا شَيْبَةَ فِيهَا" أي لا لون فيها يخالف سائرهما. وشياتُ الخيل من هذا، وأكثر ما تكون شيات الخيل بياضاً، وهي شبيهة فيها بالغرر، وكما لا تكون العُرَّةُ إلا بياضاً فكذلك الشَيْبَةُ أيضاً. فإذا ابيضَّت أذنا الفرس وحدها، أو كانت فيها نقط بيض ولم يعمها البياض فهي "الذُرَّةُ"، والفرس "أذْرُ"، وذلك إذا لم يكن الفرس أشهب، فإنها في الأشهب لا تختص باسم وحدها، إلا أن تكون سواداً، فذلك "التطريف"، والفرسُ "مُطَرَّفُ الأذنين"، فأن ابيضَّ رأس الفرس فهو "أصقع"، فأن ابيضَّ قفاه فهو "أَقْتَفُ"، فأن خالط شعر ناصيته بياض فهو "أَسْعَفُ"، فأن ابيضت ناصيته كلها فهو "أَصْبَعُ"، فأن ابيض رأسه كله فهو "أَغْشَى"، و "أَرْخَمُ"، فإن كان ابيض الرأس والعنق فهو "أَدْرَعُ"، فإن كان ابيض الظهر حلقة فهو "أَرْحَلُ"، فإن كان بياض ظهره من آثار دَبَرِ أصابه فهو "مِصْرَدُ"، وذلك البياض "الصُرْدُ" وهو جمع، واحدته "صردة"، فإن كان ابيض البطن فهو "أَبْطُ". فإن كان ابيض الجنين فهو "أَخْصَفُ" اليمين أو اليسار، وإن كان بيض الكفَلِ فهو "أَزْرُ"، فإن كان بعرض ذنبه بياض فهو "أَشْعَلُ" الذئب، فإن كان بعض هُلبه أبيض وبعضه على لون آخر فهو "مُخْصَلُ" الذئب، و "مُخْصَلُ" العُرْفِ إن كان ذلك أيضاً في العُرْفِ.

فصل في الغرر

العُرَّةُ: أسم عام لكل بياض يكون في وجه الفرس، وحده في القدر أن يكون فوق الدرهم، فإذا كان في وجه الفرس قدر الدرهم فما دونه فهو "قُرْحَةٌ"، والفرس "أَقْرَحُ". والعرب تتشاءم بالقُرْحَةَ إذا لم يكن معها بياض في شيء من أعضائه، فإذا كان مع القرحة أدنى بياض خرجت من حيز الكراهة وصارت مدحاً، كما قال الشاعر:

كُمَيْتٌ كَلُونِ الصَّرْفِ أَرْجُلُ أَقْرَحُ

أَسِيلٌ نَبِيلٌ لَيْسَ فِيهِ مَعَابَةٌ

فمدح بالقرحة لما كان معها الرَّجُل. فإن زاد على قدر الدرهم البياض في وجهه فهو "عُرْتَه"، وأسمها "النجم"، وهي أول مراتب العُرَرِ، فإن انتشرت في الجبهة وملأها فهي "شادخة"، والفرس "أَشْدَخُ"، فإن استدارت في موضعها وتوسطها لون آخر فهي "الحلقة"، والفرس "مُحَلَّقٌ". فإن كانت التُّكْنَةُ التي في البياض لازقة بأحد جوانب البياض فهي "الهلال"، والفرس "مهلل"، فإن سالت الغرة ودقت ولم تجاوز العينين فهي "العصفور"، والفرسُ "معصفر"، فإن نزلت إلى الخيشوم ولم تبلغ الجَحْفَلَةَ فهي "شِمْرَاحُ"، والفرسُ "أَعْرُ شِمْرَاحِي"، فإن ملأت الغرة الجبهة ولم تبلغ العينين فهي "شادخة"، كما تقدم، فإن أخذت جميع وجهه غير أنه ينظر في سواد فهي "مُبرِّقَةٌ" والفرس "أَعْرُ مبرِّقٌ"، فإن بلغت عينيه فايضت بها أشفار العينين فذلك "الإغراب"، والفرسُ "مُغْرَبٌ"، فإن سالت في أحد الخدين الآخر فهي "لاطمة"، والفرسُ "لطيمٌ" اليمن أو اليسار، فإن كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى كحلاء فهو "أَخِيفٌ"، وأكثر ما يوجد ذلك في اللطيم من الخيل، وهو لذلك "لَطِيمٌ أخيفٌ"، فإن كانت الزرقاء لا بياض بناحيتهما، والبياض حول العين الكحلاء فذلك "الحوص"، والفرسُ لذلك "لَطِيمٌ، أخيفٌ، أحوصٌ". والبياض بالجَحْفَلَةَ العليا يقال له "الرَّئِمُ"، والفرسُ "أَرْتَمٌ"، فإن كان معه عُرَّةٌ متصلة به فهو "أَعْرُ أَرْتَمٌ"، والبياض بالشَقَّةِ السفلى يقال له "الَلْمَطُ"، والفرس به "الْمَطُ". فإن ابيضت الشفتان جميعاً قالوا فيه: "أَرْتَمٌ، أَلْمَطُ" فإن كانت الشفتان سوداوين مع لون يخالفهما فذلك "الدَّعْمُ"، والفرسُ منه "أَدْعَمٌ".

فصل في التحجيل

والتحجيل شِيَّةٌ من الشيات بموجب الاشتقاق، على ما قدمناه، وإنما خص بهذا الاسم أخذاً من الحَجَلِ. وهو الخَلْخَالُ، وهو مخصوص بالرجل، فسمي بذلك كل ما وليه أو قاربه، على طريق تسمية الشيء باسم ما جاوره، فإذا بلغ البياض من التحجيل رُكْبَةَ اليد وعُرْقُوبَ الرَّجْلِ فهو فرس "مُحَبَّبٌ"، واسم ذلك التحجيل "الجَبَّةُ"؛ وأصل "الجَبَّةُ" أنه اسم لموصل الوظيف بالذراع. فإن جاوز البياض إلى العضدين والفخذين فهو "أَبْلَقُ مُسْرُولٌ". فإن كان البياض بيده دون رجليه فهو "أَعْصَمٌ"، فإن كان في إحدهما فهو "أَعْصَمُ اليمنى أو اليسرى". فإن كان البياض في يديه إلى مرفقيه دون الرجلين فهو "أَفْفَزٌ"، فإن كان البياض برجليه دون اليدين فهو "مُحَجَّلٌ"، ولا يكون الفرَسُ بشيء من البياض محجلاً إلا بياض الرجلين، لما قدمناه من الاشتقاق. فإن كان مع ذلك في اليدين بياض سمي تحجيلاً، للمشاركة. فإن كان البياض في أوظفه اليدين دون الأعضاء والأرساغ فذلك: "الوقف"، والفرس "موقفٌ"، وهذا في اليدين خاصة. فإن كان مثل ذلك في الرجلين أو في رجل واحدة فهو "التخديم"، والفرس منه "مُخَدَّمٌ"؛ وذلك أيضاً من

خواص الرَّجُل. فإن كان البياض في أرساغ الرَّجُلين خاصة فهو "مُخَلَّخَل"، ويقال أيضاً "مُحَدَّم". فإن كان البياض في أرساغ اليدين خاصة فذلك "القيد" والفرس "مَقِيد". فإن كان بياض الرسغ متصلاً بالحافر "مُخَضَّبُ" اليد الكذا، أو الرَّجُل الكذا، "ومُخَضَّبُ الأربَع" إن كان ذلك في قوائمه كلها. وما كان من القوائم أبيض فهو "مُحَجَّل"، وما ليس فيه بياض من القوائم فهو "مُطَلَّق". يقال "مُحَجَّلُ الأيْمَنِ" و "مُطَلَّقُ الأيْأَسِر" أو بالعكس. فإن كان البياض بثلاث قوائم وإحدى القوائم ليس عنده بياض فهو "مُحَجَّلُ الثَّلَاثِ" "مُطَلَّقُ يَدٍ كَذَا" أو رجل كذا، فإن كان البياض بِيَدٍ وَرِجْلٍ من شق دون الشَّقِّ الآخر فهو "مُؤَسَّكُ الأيْمَنِ" "مُطَلَّقُ الأيْأَسِر" أو بالعكس. فالممسكات هي بالبياض، والمُطَلِّقات هي العديمة البياض. فإن كان البياض برجل واحدة فهو "أَرْجَلٌ"، و "الرَّجَلُ" بانفراده هو مكروه عند العرب، فإن كان معه غيره اغْتَفِر. وإن كان البياض في يد ورجل من خلاف، مثل أن يكون البياض في اليد اليمنى والرجل اليسرى أو بالعكس فذلك "الشَّكَالُ"، وهو مكروه. والفرَسُ منه "مشكل".

في الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره الشَّكَالُ في الخيل". وقوم يجعلون الشَّكَالُ بياض أحد الشَّقَّين دون الآخر، مثل أن تَبْيُضَّ اليد اليمنى والرجل اليمنى من جهة واحدة. وهذا هو الذي يقال له "الإمساك"، وقد تقدم ذكره. قال ابن قُتَيْبَةَ: "وقوم يجعلون الشَّكَالُ البياض في ثلاث قوائم"، ولا يساعده الاشتقاق على ذلك. والأحسن ما قدمناه. فإن ابيضت أطراف الشَّقِّ وحدها فهو "أَكْسَعُ"، فإن كان ذلك في يد أو رجل، أو في يدين أو في رجلين فهو "أَكْسَعُ يَدٍ كَذَا" أو رجل كذا أو اليدين أو الرجلين". فإن ابيضت الثَّنَنُ كلها ولن تتصل بشيء من بياض القوائم فحاله في ذلك كحاله في الكَسَعِ في الأفراد والثنية والجمْع. فإن ابيضت ماخر أرساغ رجله أو يديه، واتصال البياض بألْيَةِ اليد أو الرجل فذلك "النعال"، والفرس "مُنْعَلٌ"، أو "مُنْعَلُ يَدٍ" أو رِجْلٍ أو اليدين أو الرجلين". و "الشَّعَلُ" في الذَّنْبِ بياض في عرضه، فأَن أبيض كله فهو "أَصْبَعُ" الذَّنْبِ. وقد تقدم ذكره في الشَّيَاتِ.

فصل في الدوائر

وهي النخالة التي تكون في الخيل؛ منهن دائرة "المُحَيَّا"، وهي اللاصقة بأسفل الناصية ومنهن دائرة "اللَّطَاة"، وهي التي في وسط الجبهة. وإن كانت دائرتان قالوا "فَرَسٌ نَطِيحٌ". ومنهن دائرة "اللاهُز"، وهي التي تكون في اللُّهْزِمَةِ. ومنهن دائرة "المعوذ"، وهي التي تكون في أول القلادة. ومنهن دائرة "السَّامَةِ"، وهي التي تكون في سالفة العنق. ومنهن دائرة "البنيقين"، وهما الدائرتان اللتان في نحر الفَرَسِ. ومنهن دائرة "النَّاحِرِ"، وهي التي تكون في الجِرَّانِ. ومنهن دائرة "القَالِحِ". وهي التي تكون تحت اللِّبْدِ، واسم ذلك

المكان "مليد الفرس". ومنهن دائرة "المهقعة"، وهي التي تكون في عُرْض زَوْرِهِ، فإن كانت المهقعة في الشَّقَّين جمعياً فهي "النافذة"؛ والنافذة هي دائرة الحِزَامِ. ومنهن دائرة "النَّاحِسِ"، وهي التي تكون تحت الجاعرتين إلى الفائلتين.

وهم يستحبون من الدوائر المذكورة دائرة المعوِّذ، ودائرة السَّمامة، ويكرهون منها دائرة النطيح، ودائرة اللاهز، ودائرة القالع، ودائرة الناحس وكانوا يستحبون المهقعة لأن أبقى الخيل هو المهقوع، حتى أراد رجل من العرب شراء فرس مهقوع، فامتنع صاحبه، فلما رما بهذا البيت كرهوها. والبيت قوله:

إِذَا عَرِقَ الْمَهْقُوعُ بِالْمَرْءِ أَنْعَطَتْ حَلِيلَتُهُ وَأَشْتَدَّ حَرّاً مَتَاعُهَا

الباب السابع

ما يحمد من الخيل

وصفة جياها وأسماء العتاق والكرام منها

رَوَى أَبُو قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "خَيْرُ الْخَيْلِ الْأَذْهَمُ الْأَقْرَحُ الْمَحْجَلُّ ثَلَاثٌ، طَلَّقَ الْيَمِينِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَذْهَمَ فَكُمَيْتٌ عَلَى هَذِهِ الشَّيْءِ". وَقَالَ أَبُو وَهَبٍ الْجُشَمِيُّ: إِنْ رَسُوهُ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "عَلَيْكُمْ بِكُلِّ كُمَيْتٍ أَعْرَ مَحْجَلٍ، أَوْ أَذْهَمٍ أَعْرَ مَحْجَلٍ". وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَمُنُّ الْخَيْلُ فِي شُقْرَاهَا". وَعَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْيَمْنُ فِي الْخَيْلِ فِي كُلِّ أَحْوَى أَحَمَّ". وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ جُمِعَتْ خِيُولُ الْعَرَبِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أُرْسِلَتْ لَكَانَ سَابِقُهَا أَشْقَرًا". وَسَأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَبْسِيِّينَ، فَقَالَ: "أَيُّ الْخَيْلِ وَجَدْتُمُوهُ أَصْبَرَ فِي حُرُوبِكُمْ؟ قَالُوا: الْكُمَيْتُ".

وسأل سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير حين قدم من الأندلس فقال: أي الخيل رأيتها في تلك البلاد أصبر؟ قال: الشُّقْر. وعن عقبه بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أردت أن تغزوا فاشتر فرساً أعراً مُحَجَّلاً، مُطَلَّقَ الْيَمِينِ، فَإِنَّكَ تَسْلُمُ وَتَغْنَمُ".

فصل

وأى فرس تمت له هذه الصفات فهو كريم مطلق، ويصير أصيلاً في النسب إذا كان مع ذلك منجباً، وذلك أن يكون بعيداً، قريباً، عريضاً، طويلاً، قصيراً، حديداً، رحيباً، عارياً، ضخماً، رقيقاً، غليظاً،

لطيفاً، ضيقاً، مُولجاً.

بعيد ما بين الجحفلة والناصية، بعيد ما بين أصول الأذنين وأطرافهما، بعيد ما بين الأذنين والعينين. بعيد ما بين أعالي الحَجَبَتَيْنِ بعيد ما بين الناصية والعُكُوة. بعيد ما بين الناصية والعُدْرَة، بعيد ما بين الحارك والمنكب، بعيد ما بين العضدين والركبتين، بعيد ما بين الإبطين والرُفْعَيْنِ. بعيد ما بين الجُنْبَيْنِ، بعيد ما بين الحجبتين والجاعرتين، بعيد ما بين الحجبتين والثَّفَنَتَيْنِ، بعيد ما بين العرقوبين والحجبتين، بعيد ما بين الشراسيف.

قريب ما بين المنخرين، قريب ما بين صَبِيَّ اللَّحْيَيْنِ، قريب ما بين المنكبين والحَجَبَتَيْنِ، قريب ما بين الجُنب، قريب ما بين الحارك والقُطَاة، قريب ما بين المَعْدَيْنِ والقصرين، قريب ما بين الجاعرتين والعُكُوة، قريب ما بين الثَّفَنَتَيْنِ والكعبين، قريب ما بين الجاعرتين والمأبضين، قريب ما بين القُصْرَيْنِ والحَجَبَتَيْنِ، قريب ما بين غراضيف الكتفين.

عريض الجبهة، عريض الخد، عريض القَصْرَة، عريض البركة، عريض الأوظفة، عريض الصَّهْوَة، عريض الجنب، عريض الصَّفَاق، عريض القُطَاة، عريض الوَرَكَيْنِ، عريض الفخذين، عريض الفاتلين، عريض الكتفين.

طويل نصل الرأس، طويل العنق، طويل الذراعين، طويل الكتفين، طويل البطن، طويل الوَرَكَيْنِ، طويل الفخذين، طويل وظيْفِي الرَّجْلَيْنِ.

قصير العضدين، قصير وظيْفِي اليدين، قصير الظهر، قصير الساقين، قصير الأرساغ كُلِّهَا، قصير الجناحين، قصير المَعَاقِمِ، وهي المفاصل، قصير العسيب، قصير الأُطْرَة، وهي أسفل الخاصرة.

حديد العينين، حديد الأذنين، حديد المنكبين، حديد المِرْفَقَيْنِ، حديد القلب، حديد العرقوبين، حديد المنجمين، حديد الحارك، حديد الحَجَبَتَيْنِ.

رحيب الشَّدَقَيْنِ، رحيب المنخرين، رحيب الشَّجْر، رحيب الإرهاب، رحيب الجوف، رحيب اللبَّان، رحيب العِجَّانِ، والعِجَّانُ: هو فرق ما بين الفخذين.

عاري النواحق، عاري الجبهة، عاري قصبه الأنف، عاري الزَّور من موضوع الرحي، عاري باطن الساقين، عاري الغراب، عاري رعوس الثَّفَنَتَيْنِ، عاري رعوس الحَجَبَتَيْنِ، عاري الحارك، عاري السُّمُومِ، عاري متون الأذنين، عاري بطون الحوافر.

ضخم المقلتين، ضخم الفخذين، ضخم الركبتين، ضخم الحَمَاتَيْنِ، ضخم الحوافر، ضخم المعدن، ضخم الناهضين، ضخم المَرْدَعَتَيْنِ، ضخم المنكبين.

عَبَلُ الدَّاعِينَ، عِبَلُ الأَوْظِفَةِ كُلِّهَا، عِبَلُ الأَرْسَاغِ كُلِّهَا.

رَقِيقُ الأَرْنَبَةِ، رَقِيقُ عَرْضِ المَنْخَرِينَ، رَقِيقُ الجَفُونِ، رَقِيقُ الحَاجِبِينَ، رَقِيقُ الأَذْنِينَ، رَقِيقُ الجِلْدِ، رَقِيقُ الشَّعْرِ.

غَلِيطُ اللِّحْمِ، غَلِيطُ العُكُوفَةِ، غَلِيطُ الحَالِبِينَ.

لَطِيفُ المِستَطْعَمِ، لَطِيفُ الزُّورِ مِنْ مَوْضِعِ المِرْفَقَيْنِ، لَطِيفُ الفِصُوصِ، لَطِيفُ النُّسُورِ، لَطِيفُ الجِحَافِ. ضَيْقُ خِرْقِ السَّمْعِ، ضَيْقُ مَا بَيْنَ صَبْيِ اللَّحْيَيْنِ، ضَيْقُ الإِبْطَيْنِ، ضَيْقُ القَلْبِ، ضَيْقُ مَا بَيْنَ الرِّبْلَتَيْنِ، ضَيْقُ الرِّفْعَيْنِ، ضَيْقُ مُرَكَّبِ النُّسُورِ.

مَوَلِّجُ الثَّنَائِيَتَيْنِ، وَهُمَا مُرَكَّبُ الفِخْذَيْنِ فِي أَعْلَى السَّاقَيْنِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُ التَّوْلِيحِ قَبْلُ. وَمَعَ هَذِهِ الصِّفَاتِ يَوْجَدُ الكَرَمُ وَالعَتَقُ، وَيَتَّبِعُهَا الصَّبْرُ وَالسَّابِقُ غَالِبًا.

فصل

سَأَلَ المِهْدِيُّ مَطَرَ بْنَ دَرَّاجٍ هُنَّ أَيُّ الخَيْلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الَّذِي إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ قَلْتَ نَافِرًا، وَإِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قَلْتَ زَاحِرًا، وَإِذَا اسْتَعْرَضْتَهُ قَلْتَ زَافِرًا. قَالَ: فَأَيُّ هَذِهِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الَّذِي طَرَفُهُ إِمَامُهُ، وَسَوْطُهُ عِنَانُهُ. وَسَأَلَ بَعْضُهُمْ: أَيُّ الخَيْلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: الَّذِي إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ قَعَدَ، وَإِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ وَرَدَ، وَإِذَا اسْتَعْرَضْتَهُ أَطْرَدَ. وَسَأَلَ بَعْضُ العَرَبِ ابْنَ كَانَا لَهُ عَنِ أَيِّ الخَيْلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: الجَوَادُ الأَنْيَقُ، الحِصَانُ العَتِيقُ، الكَفَيْتُ العَرِيقُ، الشَّدِيدُ الوَثِيقُ، الَّذِي يَفُوتُ إِذَا هَرَبَ، وَيَلْحَقُ إِذَا طَلَبَ. فَقَالَ لِلآخَرِ: فَمَا تَقُولُ أَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمُ الفَرَسُ وَاللَّهِ نَعَتُ! وَلَكِنَّ غَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، فَقَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الحِصَانُ الجَوَادُ، السَّلْسُ القِيَادَةُ، الشَّهْمُ الفَوَادُ، الصَّبُورُ إِذَا صَرَى، السَّابِقُ إِذَا جَرَى. وَالحِصَانُ: الذَّكَرُ مِنَ الخَيْلِ، وَالكَفَيْتُ: السَّرِيعُ.

وَقَالَ ابْنُ الكَلْبِيِّ: اجْتَمَعَ خَمْسُ جَوَارٍ مِنَ العَرَبِ، فَمَدَّخَنَ خَيْلَ آبَائِهِمْ، فَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ: فَرَسٌ أَبِي وَرَدَةٌ، وَمَا وَرَدَةٌ! ذَاتُ كَفَلٍ مَزْحَلِقٌ، وَمَتْنٌ أَخْلَقٌ، وَجَوْفٌ أَخْوَقٌ، وَنَفْسٌ مَرُوحٌ، وَعَيْنٌ طَرُوحٌ، وَرِجْلٌ ضَرُوحٌ، وَيدٌ سُبُوحٌ؛ بَدَاهَتَهَا إِهْدَابٌ، وَعَقَبُهَا غَلَابٌ.

وَقَالَتِ الثَّانِيَةُ: فَرَسٌ أَبِي اللَّعَابِ، وَمَا اللَّعَابُ! غَبِيَّةٌ سَحَابٌ، وَاضْطَرَامٌ غَابٌ، مُتْرَصٌ الأَوْصَالُ، أَشْمٌ القَدَالُ، مُلَاخِكُ المَحَالِ، فَارِسُهُ مَجِيدٌ، وَصِيْدُهُ عَتِيدٌ؛ إِنْ أَقْبَلَ فَطَبِيٌّ مَعَّاجٌ، وَإِنْ أَدْبَرَ فَظَلَمٌ هَدَّاجٌ، وَأَنْ أَحْضَرَ فَعَلِجٌ هَرَّاجٌ.

وَقَالَتِ الثَّلَاثَةُ: فَرَسٌ أَبِي حُدْمَةٍ، وَمَا حُدْمَةٌ! إِنْ أَقْبَلَتْ فَقِنَاةٌ مَقْوَمَةٌ، وَأَنْ أَدْبَرَتْ فَأَثْقِيَّةٌ مُلْمَمَةٌ، وَأَنْ أَعْرَضَتْ فَذَبْتَةٌ مُعْجَرَمَةٌ، أَرْسَاغُهَا مُتْرَصَةٌ، وَفِصُوصُهَا مُعْصَةٌ؛ جَرِيهًا انْتِرَارًا، وَتَقْرِيهًا انْتِكَارًا.

وقالت الرابعة: فرس أبي خَيْفَق، وما خَيْفَق! ذات ناهق مُعْرَق، وشدق أشدق، وأدم مُمَلَّق؛ لها خَلَقُ أشدق، ودسيع مُنْفَف، "وتليل مسيِّف"، وثأبة زلُوج، خيفانة رهُوج، تقريها إهماج، وإحضارها ارتعاج. وقالت الخامسة: فرس أبي هُذُلُول، وما هُذُلُول! طريدهُ مُحْبُول، وطالبة مشكول، رقيق المَلاغم، "أمين المعاقم"، عَبلُ الحزَم، مِخْدُ مِرْجَم؛ منيف الحارك، أشمُ السَنابك، مجدول الخصائل، سَبَطُ الفلائل، "غَوْجُ التليل، صلصال الصَّهيل"، أديمه صاف، وسبيبه ضاف، وعفوه كاف.

تفسير ذلك: المزحلق: المملّس، والأخلق: الأملس، وأخوق: واسع، ومروح: كثيرة المرح، وطروح: بعيد موقع العين، وضروح: دفوع، وسبوح: كأنها تسبح في عدوها أي تعوم من سرعتها، وبدايتها: فجاءتها، والإهداب: السرعة، والعقب: الجرى بعد الجرى، وغلاب: مصدر غالبته مغالبة وغلاباً، والغيبة: الدفعة من المطر، والغاب: جمع غابة، ومرتص: محكم، وأشم: مرتفع، وملاحك: ملاءم والملاحكة: الملازمة بين الشيتين، والمحال: فقار الظهر، واحدها محالة، ومُجيد: صاحب جواد، والعتيد: الحاضر، ومعاج: فعّال من قول العرب معج الفرس إذا اعتمد على عضادتي العنان، ومعج أيضاً وعمج: إذا أسرع. وهذاج: فعّال من الهدج وهو المشي الرويد، والهراج: الكثير الجرى، والعلاج: الحمار الضخم، وخذمة: فُعلة من الحزم وهو السرعة، والأثفية: واحدة الأثافي، وهي حجارة الموقد، وململمة: مدوّرة، ومُعجّمة: وثأبة، والعجّمة وثب كوثب الطباء، ومحصّة: قليلة اللحم قليلة الشعر، وأنثرار: كأنه يثره ثراً، وخيفق: سريع، والناهقان: العظمان المشرفان في خدي الفرس، ومُعْرَق: قليل اللحم، وأشدق: واسع الشدق، وممَلَّق، وممَلّس، وأشدّف: الشخص الأشدق: العظيم الشخص، والدسيع: مركب العنق في الحارك، ومنفنف: واسع، والتليل: العنق، وزلُوج: سريعة، والخيفانة: السريعة أيضاً، ورهُوج: كثيرة الرهج عند الجرى، وهو الغبار، وإهماج: مبالغة في العدو، والارتعاج: كثرة البرق، ومحبول: في الحباله، ومشكول: في الشكال، والملاغم: ما حول الفم، وإرادتها هنا الجحافل، والمعاقم: المفاصل، وعَبلُ: غليظ، ومخْدُ: يخذ الأرض، أي يشقها، ومِرْجَم: يرحم الأرض بحوافره، ومنيف: مرتفع، ومجدول: مفتول، والسبب: شعر الناصية، وضاف: كامل والفليل: الشعر الكامل المجتمع، والقطعة منه "فليلة". وأسم الفرس ينطلق على الذكر وعلى الأثني، فتقول: هذا فرس، إذا أردت الذكر، وهذه فرس، إذا التأنيث.

فصل

وقد وضعت العرب لعتاق الخيل أسماء تدل على عتقها وكرمها في أوصاف مخصوصة، فمن ذلك: "الطَّرْف" وهو الحسن الطويل، المقابل في الجياد من أبويه الذي حَسُنَ في المرأة. "واللَّهُموم" وهو الجيد الحسن الخلق، الصَّبور على العَدُو، الذي لا يسبقه شيء طَلَبَهُ، ولا يُدركه من تبعه. "والعُنُوج" الجيد الخلق، الحسن الصورة في طول. "والهُذُل" الطويل القوي الجسيم. "والذِّيَال" الطويل الذئب. "والهيكل" العظيم الخلق، الحسن المنظر. "والنَّهْد" الجواد العظيم الشديد الأعضاء. "والجُرُشُع" العظيم الخلق، الواسع البطن، الواسع الضلوع. "والسَّلَهَب" الطويل المقاصِّ، الطويل القوائم، المشقوق أسافل اللحم. "العَوَج" اللين الأعطاف. "والخَنْدِيد" وهو الجسيم من الخيل، وهو من الأضداد، تسمى به الفحول من الخيول والخصيان منها. "الخارجي" هو الجواد العتيق بين أبوين هجينين. "المُقَرَّب" الكريم على أهله المخالط بالعيال، المرتبط قريباً لعزته. "البحر" الكثير الجري الذي لا يفتر. وأول من تكلم في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ركب فرساً لأبي طلحة، فقال: إنا وجدناه بجرأً. و"المسوم" الذي خصَّ بعلامة يتميز بها عن غيره. و"الأجرد" القصير الشعر، والأنثى جرداء، والجميع منها: الجُرد. "والشَّطْب" الحسن القد. "الأقود" الطويل العنق. "والضَّبور" الذي يصفُ يديه إذا جرى، وهو من أحسن جرى الخيل، واسم ذلك الجرى: الضَّبِر. "والضَّرِم" هو من الخيل الذي لا يبالي أفي حَزَنٍ جرى أم في سهل، وكأنه لهيب النار.

"والسابع" الذي يسطو بيديه قُدماً إذا جرى. "والمناقل" السريع أوب القوائم في جريه. "والمطهم" التامُ الحَسَنُ الخلق. "والطموح" السامي الطَّرْف الحديدُ النظر. "والشَّيْظُم" الحسن الطويل. "والأقب" المنطوى الكشْح الضامر. "والمجنَّب" البعيد ما بين الرَّجَلين من غير فحج. "والطَّم" المسْتَم الخلق المستعد للجري. "والرجيل" الذي لا يحْفَى. "والسُّرْحُوب" الذي كأنه يغرف من الأرض. "والهَضْبُ" الكثير العرق. "والقنود" المنقاد لراكبه وسائسه. "والأقدر" الذي يجاوز حافري يديه بحافري رجله لظولهما. "والجموح" النشيط السريع، وهو الذي مدحه امرؤ القيس فقال:

كعمعة السَّعَف الموقد

جموحاً مروحاً وإحضارها

ويقال فيه معنى آخر بضم الأول، وهو الذي يركب رأسه لا يتنيه شيء، وهو "الصدود". وسيأتي ذكر ذلك بعد في باب إن شاء الله، وأظن الناس قالوا فيه "جموحاً" على التفاؤل، كما قيل للديغ: سليم، وشبهه.

الباب الثامن

عيوب الخيل خلقة وعادة

عيوب الخيل ضُربان: ضرب منها يكون خلقة، وضرب يكون عادة. فالعيوب الخلقية كلها بدنية، والعيوب العادية كلها فعلية.

فمن عيوب الخيل "الخدأ"، وهو استرخاء في الأذنين من أصولهما، والفرسُ لذلك "أحذي". فإن كانتا مائلتين على خديه كهيئة آذان الحمير، فذلك "البددُ"، والفرس منه "أبدُ".
فإن كان الفرس قليل شعر الناصية قصير فهو "أسفى". فإذا كان مبيضاً أعالي الناصية فهو "أسعف". فإذا كان كثير شعر الناصية حتى تغطي عينيه فهو "أغمُ". فإذا كان قصير العنق فهو "أهنع". فإذا كان متطامن العنق حتى يكاد صدره يدنو من الأرض فهو "أدنُ". فإذا كان منفرج ما بين الكتفين فهو "أكتفُ". فإذا كان هضيم أعالي الضلوع فهو "أهضمُ". وهو عيب ضارٌ مع قلة قبحة في المنظر.
قال الأصمعي: ما يسبق الحلبَةَ فرس أهضم قط. فإذا اطمأن صُلبه وارتفعت قطاته فهو "أقعسُ". فإذا اطمأناً معاً فهو "أبزخُ". فإذا أشرفت إحدى ورقيه على الأخرى فهو "أفرقُ". فإذا دخلت إحدى فهدت صدره وخرجت الأخرى فهو "أزورُ". فإذا خرجت خاصرتاه فهو "أثجلُ". فإذا التوى عسيب ذنبه حتى يبرز بعض باطنه الذي لا شعر عليه فهو أعصلُ". فإذا زاد فهو "أكشَفُ". فإذا عزل ذنبه في أحد الجانبين فهو "أعزلُ". فإذا أفرط تباعد ما بين رجليه فهو "أفحجُ". فإذا اصطكت ركبته وكعباه فهو "أصكُ".
فإذا انتصب رُسُعه وكان قائماً على الحافر فهو "أفقدُ". فإذا تدانت فخذه وتباعد حافراه فهو "أصدفُ".
فإذا كان ملتوى الأرساغ فهو "أقدعُ". فإذا كان منتصب الرجلين من غير انحناء ولا توتير فهو "أقسطُ".
فإذا قصر حافرا رجليه عن حافري يديه فهو "شئيتُ". فإذا طبق حافرا رجليه حافري يديه فهو "أحقُ".
وقال الشاعر ينفى ذلك عن فرسه:

وأقدرَ مُشرفِ الصَّهواتِ ساطِ
كُميتٍ لا أحقَّ ولا شئيتِ

"الساطي": البعيد الخطو وقد فُسرَّ "الأحقَّ". فإذا كانت له بيضة واحدة فهو "أشرجُ"، والاسم الشرجُ، وإنما عدَّ الشرج في العيوب مع أنه ليس بقادح في الجودة ولا منقص للجري من أجل أنه نقص في الخلقة. فإذا كان حافره متقشراً فهو "نقد الحافر" والاسم "التقد". فإن عظم رأس عرقوبه ولم يجد فهو "أقمعُ"، والاسم "القمع". فإذا كان يصك بحافر إحدى يديه الأخرى فهو "مرتهش". فإن حدث في عرقوبه تزيُّد وانتفاخ عصب فهو "الجرذ" بزال معجعة، والفرس منه "أجرذُ". فإن وقع له ورم في أطرة حافره فهو "أدخسُ"، والاسم "الدخس". فإن شخَصَ في وظيفيه شيء يكون له حجم وليس له صلابة العظم فذلك "المششُ"، والفرس منه "أمشُ".

فضل

من ذلك يكره "الْقَزَل"، و "الأقزل" هو الذي إحدى أذنيه أطول من الأخرى. و "الأخنس" وهو المتأخر الأنف في وجهه، وأكثر ما يكون ذلك في الرومية. و "الأفطس" وهو المتطامن قصبه الأنف مع ضخم أرنبيه. و "المقنطر" وهو المرتفع وسط العنق دون سائره. و "الخالي" وهو الذي تسميه العامة فارغ العنق، قال أبي حازم: وهو شرُّ عيب. و "الطيركون" وهو الحاد الكفل. و "الصلود" وهو الذي لا يعرق. و "الوقيع" وهو الذي يحفى سريعاً. و "الأرح" وهو المفترش الحافر، وإن كان متسعاً، ما لم يكن مقعباً، فإن كان مع اتساعه مقعباً فهو محمود. و "المصطر" وهو الضيق الحافر. و "الإخطاف" وهو لحوق ما وراء الحزام من بطنه، فيرجع حزامه أبداً إلى جهة خُصَّيَّه. و "الإشغاء" وهو أن تختلف أسنانه ولا تلتصق، ويطول بعضها ويقصر بعضها، والاسم "الشغاء". و "قصر اللسان". قال ابن أبي حازم: هو في الخيل عيب، لأن ذلك يُصحبُ فَمَ الفرس الجُفوف ولا يكون له لعاب. و "الأكب" وهو الذي لا يلبث عليه سرج إلا قدّمه حتى يطرحه على يديه وعنقه. وتكره عُثُورَة العينين في الخيل لأنها تدل على الفشل. وتكره حمرتها في الدَّهْم منها. قال موسى بن نصير: إذا كان الأدهم أحمر العينين فإنه يتهم بالحرن.

فصل

ومما يكره من أحوال الخيل مما يُحتاج في معرفته إلى دليل "الخرس"، وهو خلقة. قال موسى بن نصير: يختبر بأن يعرض الفرس على الرماك، فإن سهل فاعلم أنه ليس بأخرس. و "العشى"، يقال فرس "أعشى"، وهو الذي لا يبصر بالليل. قال موسى بن نصير: يختبر بأن يمشي على ثوب أسود، فإن مشى عليه فهو أعشى، وأن أتقاه فهو سليم. ويسمى أيضاً الأعشى "الشبكور". و "الجهر" يقال فرس "أجهر" وهو الضعيف البصر الذي لا يبصر بالشمس. ويستدل على ذلك أن تراه يمشي ويتلقف بيديه، ويرفع ركبتيه، حتى يكاد أن يضرب بها جَحْفَلَتَهُ. و "الصمم"، قال ابن أبي حازم: هو "الطرش"، يقال فرس "طرش". ومن علامات الصمم بالدابة أن ترعى أذنها منتصبه إلى خلف لا ينصبها للنظر ولا يسمع إذا صيح به؛ قال: وأكثر ما رأته في البلق. و "العسر"؛ قال الأصمعي: إذا عمل الرجل بشماله فهو "أعسر"، وكذلك الفرس إذا قدّم في مشيّه شماله.

قال موسى بن نصير: يختبر العسر بأن يقفز الفرسَ خندقاً صغيراً سبع مرات، فإن رفع في كل المرات يده

اليمنى قبل اليسرى فاعلم أنه ليس بأَعْسَرَ. قالوا: والفرس الأعسر لا يكاد يسبح في الماء. و "البليد" وهو ضد الذكي القلب العزيز النفس. قال موسى بن نُصَيْر: تختبر البلادة بأن تقف على عشرة أذرع من الفرس، وأرْمِه بخرقة أو أرْمِ عِنَانَه بحصى، فأن وقف فأنَّهْمه ببلادة، وكذلك إن عطست وأنت راكبه، أو نفضت بعض ثيابك، ثم أركبه وألقِ على الأرض ثوباً أبيض وامش به عليه، فأن حذرَه فاعلم أنه ذكي النفس، وإلا فاعلم أنه بليد.

فصل في عيوب عادته

إذا كان الفرس يعضُّ من يدنو منه فهو "عَضُوضٌ". فإن كان لا يثبُّ لم أراد القرب منه فهو "نُفُورٌ". فإن كان يجرُّ الرِّسَن ولا يطاوع قائده فهو "جَرُورٌ". فإذا لم يردِّه اللجام عن جريه فهو "جَمُوحٌ". فإذا امتنع عن المشي ووقف بموضع واحد فهو "حَرُونٌ". فإن كان يميل عن الجهة التي يريدتها صاحبه فهو "حَيُوصٌ". فإن كان كثير العثار فهو "عَثُورٌ". فإن كان يضرب برجليه فهو "رَمُوحٌ". فإن كان مانعاً راكبه فهو "شَمُوسٌ". فإن كان يلتوي بصاحبه حتى يسقط فهو "قَمُوصٌ". فإن كان يرفع يديه ويقوم على رجله فهو "شَبُوبٌ". فإن كان يمشي مشياً يشبه الوثب فهو "قَطُوفٌ". وقد أحسن أبو منصور الثعالبي في نفي هذه العيوب عن فرس أهدي إليه فقال:

لا بالشَّمُوسِ ولا القَمُوسِ ص ولا القَطُوفِ ولا الشَّبُوبِ

سأل بعض العرب ابنين كانا عن أي الخيل أبغض إليهما؟ فقال أحدهما: الجموح الطموح، التكوُّل الأثوُّح، الذي إذا جاريته سبقته، وأن طلبته أدركته. فقال للآخر فما تقول أنت؟ فقال: بسِّسْ وَصَفِّ! ولكن غيره أبغض إليّ منه. فقال: وما هو؟ فقال: البطيء الثقيل، الحرُونُ الكليل، الذي إن ضربته قمص، وأن دنوت منه شَمَس، يدركه الطالب، ويفوته الهارب.

التَّكُؤُلُ: الذي يتكل على صاحبه في الجري، والأثوُّحُ: الكثير الزَّحِير، وهو خروج النفس بأنين.

فصل

أما الحران المستحکم فهو أن تقف الدابة وتتوتد فلا تبرح، فإذا ضربت برجليها، وذلك غاية الحران الذي لا حيلة فيه ولا يصلح أبداً. وأما الحران غير المستحکم فمن ركوب غير الفارس له، ومن كثرة التزول عنه في الإصطبلات وبين الدواب في الواكب على الأبواب وما أشبه ذلك.

وأما العضاضُ فمن كثرة ضرب السائس له، والعبث بالدابة في المراغة، ومنه ما يكون كلباً من دم ومرة هائجة.

وأما الرُّوغانُ فمن ركوب غير الفارس وترك الدابة تسلك في جريها حيث أرادت، والإلحاح عليها بالضرب من جانب، بغير تقويم رأسها بالعنان.

وأما منع الإسراج والركاب والشَّماس فيحدث من الدمامل تخرج في منسج الدابة، والعُقُور في موضع المنقب أو في السُرَّة أو في الظهر، فيسرج عليها قبل استحكام برئها ويركب على غير علاج، فيمنع ويشمس لوجعها، ثم يبرأ فتصير له عادة.

وأما الضرب بالرجلين فسوء خلق من الفرس وروشنة، ويفعله عند التحصن. وكذلك اللطم باليد. وربما أوجعه الذبَّانُ فلطم بيده، ومن ذلك يمنع جَحْفَلْتَه، وربما منع اللجمام منه.

وأما منع الإنعَال فصعوبة تبقى في الفرس وروشنة، وربما وقع به مشقة فأوجعه فمنع لذلك بعد البرء.

وأما النَّفَار فضعف قلب ودَهْشٌ وصعوبة تبقى فيه، ووحشة من قلة مَمَرَّة في الأسواق والمدن وغير ذلك.

وأما العِثَار فمن ضعف القوائم، والتواني، وسقوط النفس. وأما ما كان من حُفْرة أو حَجَر يضع يده عليه أو زَلَقٍ وما أشبهه، فذلك خطأ لا عيب فيه.

فصل

زعم "حَنَّة" الهندي أنه لا ينبغي لأحد أن يرتبط من الدواب ما كان منها في مُقَدِّم يديه دارة. وما كان أسفل من عينيه دارة، أو في أصل أذنيه من الجانبين دارتان، أو على مَأْبُضِه دارة، أو على مَحْجِرِه دارة، أو في خده أو جَحْفَلْتِه السُفْلِي أو على ملتقى لحييه دارة، أو في بطنه شعر منتشر، أو على سُرَّتِه دارة، أو كانت أسنانه طالعة على جَحْفَلْتِه، أو له سَنَان نابتان بمتزلة أنياب الختير، أو في لسانه خطوط سُود. وما كان منها أديس أو أبيض أو أصفر أو أشهب تعلوه حمرة، وداخل جحافلته ولَهَوَاتِه وخارج لَحْيِيِه أَسود. وما كان منها أَدْهَمَ وداخل جحافلته أبيض، أو في لَهَوَاتِه وداخل شِدْقِه نُقْطٌ سُود، وجَحْفَلْتِه خارجها منقط كحب السمسم، أو على مَنَسْجِه دارتان، أو على خُصْيِيِه وِبْرٌ أَسود مخالف للونه، أو كان في جبهته شَعْرَات مخالفة للونه، أو ما كان منها حين ينتج تُرَى خُصْيَاه ظاهرتين.

وفي رواية أبي عبد الله الطرطوشي: إن من جملة ما يُتَشَاءم به: إذا وُلِدَ الفرس وله أسنان، وكذلك الأزرق فَرْدَ عَيْن، والرمادي اللون، والأقرح الذي ليس فيه بياض غير القُرْحَة، وقد تقدم ذكر ذلك. والذي في ذَنْبِه خُصْلَة بيضاء، والأرْجَل وهو الذي لا يكون فيه بياض سوى قطعة في رجله غير دائرة حوالي

الإكليل، والذي يُكثر البحث بيده من غير أن يرى في ليلة شيئاً يخافه على نفسه أو على صاحبه. فهذه العلامات كلها مما تكره وتُجتنب.

الباب التاسع

اختيار الخيل

واختبارها والفراسة فيها

من أراد أن يكون حسن الاختيار، صادق الاختبار، فليُنظر إلى الفرس في جميع حالاته، وعلى كل هيئاته، وذلك في سكونه وحركته، وقيامه ورُبوضه، ومشييه وعنقه، وخبه وتقريبه، وعدوه وإحضاره. فإن اتفقت في الحسن صفاته، وتناسبت في الاعتدال حركاته وسكناته، فبالحرى أن يكون جواداً. وقلماً تصدق الفراسة في حال دون حال. فربما رأى غير العارف الفرس المهجين عند خروجه من الماء، وقد لان شعر جلدته، وعلت أقرابه، وعظمت فصوصه، وسهل وجهه، وانتصبت أذناه، وحسن منه منظرًا ولم يحسن طبعًا ومخبرًا، فتضعف الفراسة فيه لذلك.

وكذلك المستن لا تصدق فيه الفراسة، فإنه يكون متشوفًا حاد النظر، فيعلو منه ما كان مطمئنًا، ويشيل عسيبه، وييدي عجائه، ويسمو بطرفه، وتنتصب أذناه، وذلك يكون منه تطبعًا. وكذلك يحسن من المهر ما كان حسنًا، وربما لم يجز جذعًا، وجرى ثنيًا أو رباعيًا أو قارحًا حين تجتمع قوته، ويستحكم خلقه، أو ربما تغير بالكوب قبل احتمال له لضعفه.

وأقرب الفراسة في المهر إذا تجعثن وغلظ، وذهب عنه لحم الرضاة، وركب لحم العلف. فإن ما ينظر منه يومئذ جودًا أخذ في الجرى، وحينئذ يأخذ على صفته التي طبع عليها، وطبيعته التي يؤول إليها. فإن حسن أخذها عند ذلك ولم يتغير بعد بركوب من لا يحمله أو حمل ما لا يطيقه، وحسنت أوصافه، كان في الغالب جوادًا. وإن كان ضعيفًا عن الحمل فيعرف ذلك بتلوييه تحت راحته واضطرابه، واطمئنان ظهره، وقلمًا يصدق على هذه الحالة، فلا يجب أن يعجل عليه، فربما أخطأ الظن فيه ومال الرأي فيه. وإن استقل براكبه وأخذ على اختيار صاحبه واستقام في مضماره، فليبحث بعد عن خلقه ويفتش عن عياره.

فصل

فمما يُستدل به على جودة الفرس في حال سكونه ما ذكر من الأوصاف قبلُ في الأبواب المتقدمة. وقد جَمَعَ بعضُ أهل الفراسة في الخيل في كلام مختصر مما تقدم ذكره ما يستحسن من صفاتها، فقال: إذا كان الفرس مجتمع الخَلْق، متناسب الأعضاء، صغير الرأس، طويل العنق، غليظ اللَّبَّة، رقيق المذبح، دقيق الأذنين طويلهما قائمهما، مع شدتهما ولطف طَيَّهما كأنهما ورق الريحان وأطراف الأقدام، طويل الخدين أمَلَسَهُمَا رقيقهما، معتدل شعر الناصية، ضَيَّقَ القَدال، وهو موضع معقد العذار الناصية، واسع الجبهة، أكحل، العينين، بارز الحدقة، حاد النظر، واسع المنخرين أسودهما، مستطيل مَشَقَّ شِدْقِيه، مستدير الشفتين رقيقهما، وتكون الشفة العليا إلى الطول قليلاً، دقيق الأسنان مَرْصُوصَهُمَا، طويل اللسان، أحمر اللِّهَاء، واسع الصدر، عظيم اللَّبِّبِ، ممتلئ القصرة، وهي أصل العنق، لَيِّنَ العُنُقَ طويله، عالي الحارك، قصير الظهر مستويه، عظيم الجنين والجوف، منطوي الكَشْح، سابل الأضلاع، مستوفي الخاصرتين، رحيب الجوف، مقبَّب البطن، مشرف القَطَاة، وهو مقعد الفارس، مدوَّر الكَفَلِ قصيرة مستوية، قصير العَسِيب، تامَّ الذيل، أسود الإحليل، واسع المَرَاث، غليظ الفخذين مستديرهما، غليظ عظم الساقين، مستوي الرُّكْبَتَيْن، لطيف الوظيف، وهو ما فوق الرسغ إلى الركبة، قصير الأرساغ غليظها يابسها، يابس العَصَب، محدود العرقوبين، أسود الحوافر وأخضرهما، مدوَّر الكعبين مقعَّبهما، ملتصق السُّنْبِك بالأرض، مرتفع النَّسُور صُلْبُهُمَا، لَيِّنَ الشعر، لأن لين الشعر في جميع الحيوان والدواب وفي الجوارح محمود يدل على القوة، ويزيد في الفرس لين الشَّكِير، وهو ما حول الناصية وعُرفه من الشعر الصغير الذي يشبه الزَّغَب، وذلك أن تجد لمسه تحت يدك مثل القز المندوف، فأن وجدته خشناً لم يسلم ذلك الفرس من الهجانة. ويكون مع ذلك كلُّه رافع الرأس، ذكي الفؤاد، نشيطاً عند الركوب والحركة، متدللاً إذا مشى، ينظر إلى الأرض بعينه مع ارتفاع رأسه.

فإذا اجتمعت في فرس هذه الصفات أو أكثرها لم تخب الفراسة فيه عند اختباره.

فصل

ومما يُستدل به على جودته وهو مُعَنَق: لَيِّنُ أعطافه، وسموُّ عنقه، وأطراذُ منته، وشدة تدافعه، وسرعة قبض رجليه؛ وذلك لشنَج نَسَاءه، وشدة كعبيه وتمكُّنهما. ويستدل على لين أعطافه بأن تكون معاقده كلها وفصوصه وفقار ظهره لينة في تمعُّكه وعَنَقه والتفاتة، إلا الكعبين خاصة، فأن لين الكعبين ليس بجيد، لئلا يلتويا في مشيه وعدَّوه.

وإذا كانت أعطافه كما كان ذلك أسرع لتدافعه وأحكم لأمره، ويُعرف تمكُّنه بأن يكون ما ولي الأرض من حوافره أشدها أخذاً من الوطاء "مقادمها ومآخرها"، وأن تكون بواطن أرساغه لا بالجاسية الحدبة،

ولا بالتي تدنو من الأرض فتدَمَى في حُضْره.
ويُعرف شَنْجُ نَشَاهُ وشدة كعبيه بشدة تأبُّض رجليه إذا مشى، وشدة وقع حوافر بالأرض وضرحه بها.
وإذا وقف كان مجنَّب الرجلين فيقال فيه "موتَّر الأُنسى".

فصل

ويُستدلُّ على جودة الفرس في حُضْره بسموِّ هاديه، وثبات رأسه، وأن لا يستعين بهما في جريه، وأن
تجتمع قوائمه فلا تفترق، ويكون كأنَّ يديه في قرَن ورجليه كذلك. ويبسط ضَبَّعيه ويمدَّ كَشْحَه، حتى لا
يجد مزيداً قصوا عن يديه وقبضاً من رجليه. والقبض أن لا يمكَّن رجليه من الأرض وإنما يأخذ منهما
بأطراف حوافره، ويكون بسرعة قبضه كأن حوافره دُفعا في رُفْغِيه، يَمْلَخ بيديه، ويضرح برجليه في
اجتماع، كأنما يرفع بهما قائمة واحدة، ويضبح بصدرة، ولا يختلط ولا يلهو عن حُضْره. فذلك هو الجواد
الفائق، وفي مثله قال جرير:

بسامٍ إلى البلد الأبعدِ

وقد قرنوا حين جدَّ الرهان

بِنَثِّي العنان ولم يجهد

يقطع بالجرى أنفاسهم

وتنظر إلى تطريح قوائمه في الأرض إذا أحضر، فإن كان ما بين آثار حوافره أثني عشر قدماً فهو "الذريع
الكامل"، وأن زاد على ذلك فهو الذي لا غاية بعده، وإن كان قدر ذلك سبعة أقدام فهو بطيء، وبحسب
ذلك يكون ما بينهما.

ولا يعتبر في الفرس كثرة حركته مع اختلاط قوائمه وتحريكه رأسه واستعانته به، وشدة مره في مرأى
الناظر، فيخيّل بذلك أنه جواد. وربما رئي الجواد يمر لاهياً بغير تكلف، كأنه في مرأى الناظر أبطأ منه،
فإذا ضم إليه سبَّقه، وذلك لبعده قدر الجواد، واجتماع قوائمه، وسكون رأسه، وسمو عنقه، وقرب قدر
المختلط مع انتشار قوائمه، واستعانته برأسه، وبُطء رجوع قوائمه.

فصل

ومن الخيل ما هو ذريع صبور؛ وصبور لا ذراعة له؛ وذريع لا صبر له؛ وما لا صبر له ولا ذراعة.
فالذريع الصبور هو التام الخلق، الحسن الصفات، الشديد النفس، الرحب المتنفّس.
والصبور لا ذراعة له هو الذي ليس بالسرح اليدين، ولا بالطويل العنق ولا الذراعين، ولم يكن له ضعف
يخذه، ولا عظم فخذاه، ولا عبل ذراعاه، وهو مع ذلك مجتمع القوائم إذا أحضر، شنج الأُنسى، رحيب

المتنفس غير منتشر القوائم. فإن لانت معاطفه، وطالت قوائمه، وتمكنت وطالت عنقه وذراعاه، وعظمت فخذاه كان أذرع. وما زاد من هذه الصفات المشكورة صفةً زاد بقدرها جودةً وذراعاً. وأملكُ الأشياء بالخيل الصبر، وأفضلها الذريع الصبور. فإنه يسبق الخيل بذراعته، ولا يُدرك لصبره. وأما الذريع الذي لا صبر له، فهو الذي طالت قواعه وعنقه، ولانت معاطفه، وعَظُم فخذاه، ولم تساعده بقية خلقه، وليس بشديد النفس، ولا رحب المتنفس؛ فيوشك أن يرُبو لضيق تنفسه إذا ترادَّ نَفْسُهُ في جوفه، أو يكون غير شنج الأئسى ولا شديد الكعيبين، فأن طال جرَّه استرخت رجلاه فلم يسرع قبضهما ولا أشدَّ طرُحهما، فتسلمه قوائمه، ويخذه صبره. وأما الذي لا صبر له ولا ذراعاً، فهو المنشال الخلق، القبيح الصفات، الساقط النفس، الضيق التنفس، الرخو الأئسى. فهذه الصفات لا تكون واحدةً منهن في فرس إلا خذلته عن ذراعته وصبره.

فصل

إذا اشتد نَفْسُ الفرس ورُحِبَ مَنْخَرَاهُ وجوفه مع كمال خلقه كان صبوراً، وإذا أشدَّ خَلْقُهُ، واستحكمت فصوصه، واجتمعت قوائمه في حُصْرِهِ ولم تنتشر دل ذلك على قوته. واستدل عمرو بن معد يكرب يوم القادسيّة على شدة فرسه حين خاف من ضعفه، بأن وضع يديه على عُنُقِهِ، وأحلد بها إلى الأرض، فلم يتخلخل ولا انخدل، فعلم شدته. فإذا كان شديد الأُسْر، تامَّ الخلق، رحب المتنفس، ثم لم يصبر، فذلك من قطع أو علة في باطنه؛ ويعرف ذلك منه بسقوط نَفْسِهِ، وفتور حركته، وكلال ضرسه، وانهدام جسمه، واختلاط قوائمه، في عَنَقِهِ وخَبِيهِ. وربما أخذ في تقريبه أخذاً حسناً، فإذا أَحْضَرَ صار لهذا الجري. وأما إذا كان الغالب عليه رداءة الخلق، فربما أخذ في التقريب أخذاً حسناً باجتماع قوائمه، وبسط ضَبْعِيهِ، وسمو هاديهِ، وتكفَّت رجليهِ، فإذا أراد الإحضار خانت رداءة خلقه، وعاقته عن كثير من سرعته. فالإحضار هو مشوار هذا الضرب من الخيل. وتقول العرب: الجودة في كل صورة، أو ربما أجادَ الأخذ في الجري وليس بجيد الخلق، غير أنه شديد النفس، رحب المتنفس.

وإذا كان منشال الخلق قبيحه، فإنه يسىء الأخذ في التقريب والإحضار؛ وإذا أَعْتَقَ أنبسط نصله واسترخت رجلاه، وذلك لاسترخاء جباهه وأنسائه، وسوء خلقه. فلا يعتبر الفرس في شيء إلا في التقريب والحُضْر. فأما سواهما فإنه يختلط على المتنفس فيه، ولا يُستدلُّ منه على جودة.

فصل

وأفضل الخيل التأم الخلق، الشديد الأسر، الحديد النفس، الرحب المتنفس، الشنج الأتساء، الطويل العنق، الشديد مركبها في كاهله، الشديد الحقو، الهريت الشدق، العظيم الفخذين، الظامئ الفصوص، المتمكن الحوافر، وقاحها، صلبها، مقعبها. فأما شدة أسر الفرس وحدة نفسه فهما صفتان متلازمتان، تعين كل واحدة منهما الأخرى، كما تعين قوة الرجل شجاعته، وتعين شجاعته قوته، فيكمل. فشجاع غير قوي مقهور، وقوى شجاع مهزوم.

وأما رُحْب متنفسه، وهو منخره وجوفه، فبسعتهما يكون أسرع لرجع النفس، وأسهل للترويح عن القلب منه والرئة. وإن ضاق ذلك منه تَرَادَّ نَفَسِه، فيكتم رَّبْوَه وَيَكْرَهُ بِهِ ذَلِكَ، وَيَقْطَعُهُ. وأما هَرَّتْ شَدَقِيه، فليسهل خروج النفس بسعتهما، وليبعد أيضاً اللجام عن ثناياه، فيتروح إليه، ويعتمد عليه. وَسَعَةُ مَنْخَرِيه كذلك لسرعة الترويح، ورجع النفس. وأما طول عُنُقِه، فليسمو به، ويكون أسهل لتنفسه، وأكثر ترويحاً. وأما شدة مركبها في الكاهل، فلأنه يتساند إلى ذلك في جريه، فيجد المعونة بقوته. وأما عَظْمُ فِخْذِيه، فلأن يعتمد عليهما في حركته، وبهما يكون عَظْمُ مِثْوَنَةِ جَرِيه. وأما شدة حَقْوِيه، فلأنهما معلق وركيه ورجليه من صلبه. وأما شَنَجُ أُنْسَائِه، فلأنه أسرع لقبض رجليه، وأشد لضرحهما ودفعه بهما. وأما ظَمًا فِصْوَصِه، فلأنها أرضه التي تُثَقِّلُه، وحياده التي تحمله. وأما فِخْطُهَا وَصَلَابَتُهَا، فلأنها مَسَاحِيه التي تُثَبِّتُه بالأرض. وأما تَقْعِيئُهَا، فلأنها تكون لكفها بذلك أبعد عن الحجاره وأثبت حين الرهص. فهذه صفات لا يُسْتَعْنَى ببعضها عن بعض.

فصل

فإن كان ليس بالطويل العنق جداً من غير قصر اغتفر ذلك مع عرض العنق، إن كان مُفْرَعَ الْعَلَابِيِّ، شاخص الحارك منيفه، مستأخره إلى ظهره، عريض الكتفين، طويلهما، غامض أعاليهما، شديد الصدر، لطيف الزور، شديد تخنيب الساقين، طويل الذراعين. ويغتفر قصر الذراعين مع شدة عصبه، وتمكن أرساغه، وجودة عضديه وكتفيه وكاهله. ويغتفر خموشة ذراعيه مع طولهما، وامتلاء عضديه. وإذا كان ليس بالطويل الفخذين، ولم يبلغا إلى النقصان من شدة القصر اغتفر ذلك لاستوائهما

ولاستلحامهما.

وكذلك يغتفر قصر الساقين إذا كان عريضهما، شَنِحَ الأُنْسَاءِ. وَعَرَضُ السَّاقَيْنِ أُولَى مِنْ قَصْرِهِمَا. ولا يغتفر انقطاع حَقْوِهِ، إِلا إِذَا كَانَ حَسَنَ اللَّحْمِ وَلَيْسَ بِالْمَفْرُطِ، فَيَغْتَفِرُ ذَلِكَ لِقَصْرِ ظَهْرِهِ وَعَرَضِ فَقَارِهِ، وَقَرَبِ قَصْرَتِهِ، وَشِدَّةِ مَعَاقِدِهِ، وَسَمَوِّ صَلْبِهِ فِي عَجْزِهِ، وَشَخْوصِ قَطَاتِهِ، وَشِدَّةِ مَا سَفَلَ مِنْهَا إِلَى رَجْلَيْهِ.

ولا يغتفر عظم فصوصه مع رخاوتها، ولا رقة حوافره بغير صلابتها، وإن كان شديد الخلق. ولا يغتفر ضعف نفسه وسقوطها مع رخاوة حباله وضيق متنفسه. فإذا تمَّ الفرسَ على ما ذكرناه من تقصير ما يغتفر له، مع كمال ما ينوب عنه، كان لاحقاً بالجياد. وإن تمَّ منه شيء مما اغتفر كان أفضل بحسب ذلك.

فصل

وإن كان الفرس شديد الخلق، ولم يكن حديد النَّفْسِ لم ينفعه ذلك. وأم كان حديد النَّفْسِ، ولم يكن شديد الخلق لم يصير على الجري. ولو تم خلقه واحتدت نفسه، ولم يكن رَحْبَ المتنفس لم يصير على رَبْوِهِ فَتَرَادَ نَفْسُهُ. ولو أتسع جوفه وضافت مَنَحِرَاهُ لَكُنْتُمْ رَبْوُهُ فَهَدَأَ نَفْسَهُ. وأما إن كان رَحْبَ المنخرين حسن الجوف، لا بالرَّحْبِ ولا المهضوم الشديد الهضم، ثم كان مع ذلك هَشًّا، سريع العرق، فإنه يَحْتَمِلُ بِذَلِكَ مَا يَحْتَمِلُهُ الرَّحْبُ الْجَوْفُ. فمع سرعة العرق يخرج من النفس ما يُرِيحُهُ. وإن كان مع ذلك رَحْبَ الإرهاب كان أشدَّ لراحته؛ وأما إن كان مع هضمه ضَيِّقَ الإرهاب يَبْسَهُ فهو أسرع في جهده، وأضعف على نفسه.

فإن كان مع ذلك ضيق المنخرين ثم أجهد حتى تَرَادَ نَفْسُهُ كَانَ قَمِينًا أَنْ يَمُوتَ سَرِيعًا وَيَطْفَى، إِلا أَنْ يَكُونَ هَشًّا فَيَرَّاحَ بِسُرْعَةِ عَرَقِهِ. وأما إن كان مع شدة خلقه وتمام جسمه لطيف الحوافر، رقيقها، رخوها، لم يلبث أن تنصدع ويَحْفَى، فيقطع ذلك عما يُرَادُ مِنْهُ.

فصل

واعلم أن كل شيء يُسْتَحَبُّ مِنَ الذَّكَرِ فِي الْجَوْدَةِ يُسْتَحَبُّ مِنَ الْأُنْثَى، إِلا طَوْلَ الصَّيَّامِ، وَقِلَّةَ الرِّبَوضِ، وَقِلَّةَ لَحْمِ اللَّهْزِمَيْنِ، وَأَنْ يَكُونَ فِي ظَهْرِهَا جُسَاءً، وَقِرَانِ الْكَعْبَيْنِ فِي الْحَرَكَةِ وَغَيْرِهَا. وَيَسْتَحَبُّ مِنَ الذَّكَرِ الشَّهَامَةُ، وَالْحَدَّةُ، وَالشَّوْسُ. وَيَحْتَمِلُ ذَلِكَ فِي الْأُنْثَى. وَشَهَامَةُ الْفَرَسِ: حَدَّتُهُ،

وطموحُ بصره، وُبُعْدُ مَدَى طَرْفه. والأشْوَسُ: هو الذي كأنه مذعور لشدة التفاته، وحدة نظره. وكانت العرب تقول: "ذَكَرَ مذعورٌ نُتوم، وأثنى صَوْمٌ" والصيام: طول القيام. ولا خير في جَسءِ القوائم للذكر والأنثى، والأنثى أشد احتمالاً في مقدّمها، لما يكره في مقدّم الفرس الذكر. ولا غنى بهما عن جودة القوائم، فهي أجنتها. ويستجيب في الأنثى قصر الفخذين، وقرب ما بين الكعبين. ويكره تباعد ما بين رجليها، لأنها إذا اتسع عجانها، ورُحِبَ مَهيلها - وهو ظيّتها - استرخت رجليها فحشّتها الريح وخارت لذلك ورّكها، وضعفت عن عدوها، وربما حُمِلَ عليها فكَبَّتْ. ويستجيب فيها الأفرُّ والنَّفْزُ، وهو القَفْزُ والنَّزْقُ. وذلك بأن تجمع قوائمها فلا تفرقها. وإن يكون حُضْرُها وثباً صعداً، مع اعتلاء. واجتماع القوائم دليلٌ على شدة الخلق في الذكر والأنثى. ورؤى أهم كانوا يستحبون إناث الخيل في الغارات والبيات، ولما خفي من أمور الحرب، وكانوا يستحبون فحول الخيل في الصفوف والحُصون والسَّير والعسكر، ولما ظهر من أمور الحرب، وكانوا يستحبون خصيان الخيل في الكمين والطلائع لأنها أصبر وأبقى في الجهد.

الباب العاشر

تعليم ركوب الخيل

على اختلاف حالاته

فينبغي لمن يُريد التصرّف على الدواب أن يتعلم ما لا غنى به عن معرفته، من إحسان الركوب على العرّى وعلى السّرج وإمساك العنان، ويتعلم أصولاً من أعمال الفروسية، فيستعين بها على ركوب الخيل والثياب عليها.

واعلم - أرشدك الله - أن أصل الفروسية الثبات، وأن مبتدأها إنما هو الركوب على العرّى من الخيل، ومن لم يتدرب أولاً على عرّى لم يستحکم ثبوته في الغالب، بل يكون أبداً قلقاً في سرجه، لا سيما عند خبّيه وركّضه، فلا يؤمن سقوطه أن اضطرب فرسه أو أصابته هنة. فمن أراد التفرس على العرّى فليلبس ثياباً خفافاً مشهورة، ويلجم فرسه، ويشدّ عليه جُلّ صوف أو شعر وثيق الحزام واللبب، فإن الراكب على الجُلّ أثبت منه على الجرّد؛ ويقف على يسار فرسه عند منكبه، ويمسك عنان لجامه بيده اليسرى. وإن أخذ العرّف مع العنان فلا بأس به، ويثب بسرعة وخفة؛ فإذا استوى على ظهره جمع يديه في العنان عند كاهل الفرس، ونصب ظهره، ولزم بفخذه موضع دفتي

السَّرج من ظهر الفرس، ويتقدم قليلاً، فالتقدم أحسن على العُرى من التأخر، ويمد ركبتيه وساقيه وقدميه إلى كتفي الفرس، حتى يمكنه أن ينظر إلى إهامي قدميه، وليكن اعتماده على اللزوم بفخذه، فبذلك يجوز الثبات، وكل من لزم ركوبه غير ذلك فلا ركوب ولا ثبات.

وتسوية العنان أصل في الإحسان والإتقان، ثم يُخرجُ فرسه من الوقوف إلى المشي، بغمز خفيف يعمزه بعقبه برفق، ثم يسير به العنق برفق، ثم يتوسع في العنق قليلاً؛ ويكون في خلال ذلك يتعهد نفسه في الجلوس على الهيئة المذكورة، وفي أخذ العنان وتسويته، حتى يعلم أنه قد ثبت، وصار ذلك له عادةً وطبعاً. ثم ينتقل فرسه من العنق إلى الخبّ بزيادة الغمز بعقبه زيادة خفيفة؛ فيخبُّ خباً لئناً؛ وليخطف نفسه، فإن الخبّ يكاد يقلع الفارس من سرجه، لا سيما عند ابتدائه وعند جذبه وانتهائه، فيحذر ذلك في الحالين؛ ثم ليزد بعد بتدرج حتى يقارب التقريب. فإذا ثبت على ذلك انتقل إلى التقريب بسكون واستواء، حتى يسير سيراً كدبيب الرجل، وليستعن بساقيه ويلزم بهما الفرس. أو يدخل قدمه تحت إبطي الفرس أو بين يديه إن كان من يلحق ذلك في الخبّ والتقريب. فإذا ثبت على ذلك واستغنى عن الاستعانة بساقيه، وسكن في ظهر الفرس، وسكن الفرس تحته سكوناً تاماً، فليجر عند ذلك فرسه بين الجريتين. فإن ثبت وخفَّ عليه أمره فليجر فرسه ملء فروجه؛ وليحذر عند ذلك عن نفسه في الحالين عند الوثب وعند الجذب. وليكن جذبه قصداً، ولا يطول في الطلق، فإن الطول فيه يُفسد الخيل. ولا سيما التي يعمل عليها بالرمح. فإن كان الفرس لئناً ويعلم أنه ينحبس في جذبه واحدة فلا يجبسه إلا ثلاث جذبات، ويجبسه في الرابعة بوقفة منها. وتكون كل جذبة ألين من التي قبلها؛ ولا يقبض رأسه عند جذبه، وليكن حبساً رقيقاً متدانياً مرة بعد أخرى. ولا يرسل العنان بين الجذبتين لئلا يعود الفرس إلى الجري. وليعدل يده بالعنان عند ذلك، ويكون حبسه له باستواء. وليحذر طولاً من جانب وقصره من جانب، فإن اعتدال العنان الفارس والفرس كالميزان. وحسن التقدير في ذلك عنوان العقل وشاهد الثبيل. وتعديله بمقدم الفرس ومؤخره أكد ما تعنتي به أولاً وآخرًا. فليحذر الميل من أحدهما عن الاستواء. وكثير من الخيل إذا حبسه غير العارف خلعه عند ذلك من سرجه.

وليتحفظ أيضاً عند الجذب من إدماء فم الفرس باللجام؛ فقل ما يدميه إلا من لا معرفة له بإمساكه، ولا تقدير عنده في عنانه. وليكن اللجام نازكياً وهو المعروف الآن باللزمة وما أشبهه، فإنه من لجُم الفرسان. ويكون ثقله وخفته بقدر احتمال الفرس. فلتجرب عليه اللجم، فأيتها كان أخف وأطيب في فمه وهو به أحسن حالاً فذلك لجامه. وعند النظر إليه يظهر "ما" يصلحه من ذلك. وأن يكون الفرس يعلُّك لجامه فيستطيع أحسن من أن يخافه فيشبهه به أو يطاطئ رأسه؛ ولا يكون أيضاً من الخفة بحيث يستهين به

الفرس ولا يملك الفارسُ رأسه. فالاعتدال بين ذلك هو المقصود. وليكن عذارُه إلى القصرِ، فإن طوله ينقص من جرَى الفرسِ، لا سيما الضعيف اللّحيين. وبالضرورة يعلم أنه إذا ضرب اللجامُ أسنانه آذاه وقطع به عن كثير من الجري وشغلُه. وذا قصر العنان أخذ اللجام بأنيابه واعتمد عليه وتروّح إليه. وليكن العنان أيضاً إلى القصرِ بحيث لا يتجاوز القربوس إلا باليسير، فإن طوله مشغلة للفرس، محير للفرس. فإذا أتقن ذلك كله، وتعودد الركوب على العرى، وصار له ذلك كالطبع، فقد ملك من الركوب أصله وحاز جلّه؛ فلينقل بعد نفسه إلى السرج، بعون الله تعالى.

فصل

ومن أراد التفرس على السرج، فالمستحب له أن يتخير سرجاً متسعاً ليتقلب فيه كيف شاء، لا سيما لمن أراد التعلم، فالمتسع أوفق له من الضيق. وليكن وثيق الخشب، واسع المجلس، لاطع القربوس والمؤخرة، ويكون لبُّه وثيقاً من جلد حسن الدباغ يدور بالسرج، وحزام كذلك وثيق، قال ابن حزام: وحزامان خير من حزام واحد، وهو أحب إليّ، وركائين معتدلي الوزن والتقدير والحلق، لا بالواسعة ولا بالضيقة، وثقلهما خير من خفتهما. وبوثق من سير الركائين والأبازم، ويتفقد مقدار طولها وقصرهما ليكونا سواءً؛ وبقدر الحاجة في الطول والقصر. وإن يكونا إلى الطول يسيراً أحسن من أن يكونا إلى القصر، فإنه إن قصر الركابان ربما أنقطع الفارس من سرحه عند وثب الفرس وعند جذبه في الجري، فلا يأمن السقوط، لا سيما أن راغ الفرس أو شبّ.

ولكل رجلٍ فيهما حدٌ ينتهي إليه ويُقدُّ عليه كأثواب اللباس والخفاف وغيرها، من تعدى حدّه، وفارق قدّه ثقل عليه ملبوسه، وتعذر قيامه فيه وجلوسه.

فالذي يصلح من ذلك أن يعتمد على مقعدته في مقعد سرجه، مع انبساطه ساقيه، واعتماده على ركابيه حتى يكون كالقائم المالك لجميع جسده، المتصرف باعتدال في كل عضوٍ من بدنه. وينبغي له أن يتخذ بدادين مُدورين أو مربعين، ولا سيما لمن أراد السفر الطويل والجري الكثير، فإنه وقاية لحارك الفرس، أن انقطع شيء من معاليق السرج فيقيه البدأً وبحرس ظهر الفرس من القربوس والمؤخرة. ويتخذ مرشحةً من طاقتين وقاية تحت البدادين. والمرشحة أيضاً تجفف العرق من البدادين.

فإذا أراد الركوب عليه شدةً بيديه، وتولى أمره بنفسه؛ ولم يتكل فيه على غيره. فإن تولاه غيره فليمتحنه عند ركوبه احتياطاً بحركته ونزوله.

ومتى كان الحزام رخواً ماج السرج بفارسه، لا سيما أن أمسك السلاح، وذلك غير جيد. وأيضاً فإن

السلاح إذا أشد لم يَمَجَّ في ظهر الفرس، ولم يكد يُدْبِرُهُ ولا يَعْقُرُ ظهره. ومع رخاوته وانحلاله كثيراً ما يفعل الدَّبْرَ والعَقْرَ. وليمسك سوطه أو قضيبه عند الركوب بيده اليسرى، ويشمر ثيابه، ويقف عن يسار فرسه بجذاء ركابه الأيسر ورائه قليلاً. ولا يتقدم في الوقوف فإنه عيب ولكن جانبه الأيسر يلي مَنْكَبَ الفَرَسِ. فيأخذ العنان بيده اليسرى مع طاق القربوس من داخله أو مع العُرْفِ، أن رأى ذلك أَعُوْنَ له. وليقصر عنانه في يده ليمتلئ رأس الفرس. ومتى لم يحس الفرس عند ذلك اللجام ربما اضطرب فلم يكن من ركوبه. ولا يفرط في كبحه فيدور عليه، ولكن على اعتدال فيه. ثم يقتل الركاب الأيسر إلى قَدَامِ فتلة واحدة، ويضع صدر رجله اليسرى فيه ويمدها إلى كتف الفرس، ولا يدخلها تحت بطنه. ثم ليأخذ بيده اليمنى القَرَبُوسَ ومؤخر السَّرَجِ، أي ذلك شاء، فكل ذلك صواب. وأخذُ القَرَبُوسِ باليمنى أحب إلى الفرسان. ثم ليشل نفسه إلى فوق شيئاً رقيقاً باقتدار وسكون حتى يركب بسرعة. وإن أمسك له إنسان الركاب الأيمن عند ركوبه فذلك حَسَنٌ.

فإذا استوى في سرجه جالساً، فليضع صدر رجله اليمنى في الركاب الأيمن، ويعتمد على الركابين قليلاً ليستوي ثيابه.

وإن أحبَّ أن يسوي ثيابه يمينه قبل أن يجلس في السَّرَجِ وبعد الاستقلال، فليفعل ذلك فقد فعَلَهُ الفرسان. ولا أرى أنا ذلك، إذ قد يعترى الفرس حركةً فلا يمكنُ استقلاله. ولكن يُمسك العنان في خلال ذلك كله، ثم يسوي العنان بيده جميعاً، ويعدل به رأس الفرس، ثم يخرج الفرس من حالة الوقوف إلى المشي، بان يغمزه بعقبه غمزاً خفيفاً ولا يحرکه بحركة بدنه، ولا بحركة ساقيه يضرب بهما بطن الفرس فذلك قبيح لا يفعله الفرسان.

ولينظر إلى الأذمشية فرسه، وأحسنها عنده، وأخفها على نفسه وعلى الفرس، وأشدّها سكوناً فيحمله عليها. ولتتقد ما يصلح بالفرس من ذلك بعناية.

وإحسان الركوب والفروسية إنما هو بحسن القعود في السَّرَجِ والثبات، وتعديل العنان، واستواء العَمَزِ، واستعماله في موضعه بمقدار حيث يحتاج إليه، ويضطر له. فليكن جلوسه مستويًا مُنتصبَ الظهر معتدلاً المنكبين، لا منحنيًا، ولا مُستلقياً، ولا متصدراً، ولا منحذباً، بل معتدلاً فإذا أحكم الجلوس هكذا فليلزم بفخذه دَفِي السَّرَجِ، ويطول فخذه، ويسور رجله في الركابين ويلزمها صدورهما، ولا يفتحهما ولا يؤخرهما.

وليس بالفارس أفبح من تأخير رجله، وليقدمنهما ولا يفرط. والقدر الذي يستحسن من ذلك أن يكاد الراكب ينظر إلى أطراف أصابع رجله إذا استوى.

وأصل الركوب التمكُّنُ، وبَسَطَ الفخذين وتطويلهما، واللزوم بهما وإرخاؤهما على السَّرَجِ. وجُلُّ الفرسان يروُّن حُسْنَ الركوب على الفخْدَيْنِ، والاعتمادَ على الركابين، وذلك أثبت له، وبه يكون الراكب كالقائم. وليعتن بتمكُّن صُدور قدميه في الركابين، ويعتمد على الأيمن أشدَّ يسيراً عند العمل بالرمح. وللرامي أن يعتمد على الأيسر أشدَّ يسيراً. وقد تقدم ذكر تسوية العنان، فليتفقدهُ بعناية أكيدة شديدة، فإنه نَفْسُ الفروسية وملاكها، وأصلها وفروعها. وليتحفظ به، فهو الميزان الذي لا يحتمل الرجحان، وله حساب لا يقف على حقيقته إلا الحاذق الطَّبْع.

وليكن وزنه في ذلك تعديل رأس الفرس به. وإن يجَدَّ الفرسُ مسَّ اللحم وطعمه أبدأً، حتى يعلم أن فارسه أبدأً لا ساه ولا غافل عنه. ولو لم يكن ذلك إلا مخافة العثار أن أصابته هنة فيمسكه باللجام. وأيضاً فإن إرخاء العنان بإفراط يعوِّدُ الفرس أن يركب رأسه ويحكم نفسه، فلا يستقيم ركوبه. ولا ينبغي أن يدفع الفرس للجري وهو يُمسك العنان ويجذبه، فإنه لا يدري الفرس أن الجري يُراد منه. ولا يفرط في إرساله، فيختلط الأمر عليه ويقلق ولكن بين ذلك إمساكاً معتدلاً. ولأن يملك الفارسُ رأسَ فرسه أوفق له وأحسن.

وقد تقدم تدريج السَّير من المشي، إلى الخب، ثم إلى التقريب، ثم إلى العدو. وسيأتي شرح هذه الألفاظ في بابها على الترتيب إن شاء الله تعالى.

ومن اضطرَّ إلى الركوب على السَّرَج وهو دُون حِزام، فليأخذ الركاب اليمين بيده اليسرى، ويجذبه على مجرى اللَّبِّ جذباً شديداً، ويضع رجله اليسرى في الركاب الأيسر، ويأخذ بيمينه القربوس مع العنان ثم يركب.

ومن اضطرَّ إلى الركوب مع الرَّدِيف فليُمسك العنان كما تقدَّم، ويضع رجله اليسرى في الركاب الأيسر، ويأخذ طاق القربوس بيده اليمنى، ثم ليشل نفسه ويشق برجله اليمنى السَّرَج فيركب وإذا أخذ العنان بيده اليمنى مع طاق القربوس فلا بأس بذلك أن أحتاج إليه، وللضرورات أحكام بحسب أحوالها الحاضرة؛ فليتناول الرَّجُلُ منها أحسن ما يمكنه، ويقدر عليه من التناول، بعون الله تعالى.

الباب الحادي عشر

المسابقة بالخيل والحلبة والرهان

كانت العربُ تخاطر على سباق خيلها، وتسمى ما تجعله للسوابق خصلاً، ورهاناً، وتضعه في طرف الغاية التي تجري إليها، على رأس قصبه من قصب الرماح. وهو قولهم في المثل: حاز قصب السبق، وإنما يعنون هذا وتسمى أيضاً الغاية: المدى، والأمد. ومنه قول النابغة:

سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى الْأَمَدِ

وُتُسَمَّى مَوْضِعَ الْجَرِيِّ الْمَضْمَارِ.

ثم جاء الإسلام فأبقى من أفعالها في ذلك ما فيه تنبيه للأمة، وعوداً على شرف الهمة. فسابق النبي صلى الله عليه وسلم، وأجرى الخيل "التي ضمرت" من الحفيا إلى ثنية الوداع، وبينهما ستة أميال. وأجرى الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وبينهما ميل. وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الملائكة لا تحضرن شيئاً من لهُوِكُم إلا الرهان والنضال". وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم وقال: "لا سبق إلا في خفٍ أو حافرٍ أو نصل". وقيل لأنس بن مالك: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراهن على الخيل؟ فقال: أي والله! لقد راهن على فرس له يقال له "سبحة" فسبق، فبهج بذلك وأعجب.

وعن مكحول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الخيل، فجاء فرسه الأدهم سابقاً، فلما رأى ذلك جثا على ركبتيه وقال: إنه لبحر، فقال عمر رضي الله عنه: كذب الحطيفة! لو كان أحد ناجياً من هذا لنجا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أبو علي: أراد عمر بقوله هذا البيت:

فإن جباد الخيل لا تستقرنا ولا جاعلات العاج فوق المعاصم!

وعن يعقوب بن زيد بن طلحة عن أبيه قال: سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخيل اثنتي عشرة أوقية، فسبق فرس لأبي بكر رضي الله عنه فأخذ أربعمئة وثمانين درهماً. وعن الشعبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص: إن أجر الخيل وسبق بين قال: فأجريت الخيل بالكوفة، فأقبل فرسان يبتگان حتى دخلا الحجرة، فتنازعا فيهما، فكتب بذلك إلى عمر، فكتب عمر: إذا سبق بالرأس فقد سبق.

وعن هارون بن أبي زياد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أغد إلى هذه المكرمة! يعنى الرهان في الخيل. قال: فغدا الناس وخرج سلمان فيمن خرج، فقال قوم: لنستخنه اليوم! فلقوه، فقالوا: يا أبا عبد الله! من سبق اليوم؟ قال: سبق السابقون؟ وأصل الرهان من الرهن. كان الرجل يراهن صاحبه على

المسابقة: يضع هذا رهناً، ويضع هذا رهناً، فأيهما سبق فرسه أخذ رهنه ورهن صاحبه. وهذا كان من أمر الجاهلية، وهو القمار المنهي عنه، فإن كان الرهان من أحدهما شيئاً مسمى، على أنه أن سبق لم يكن له شيء وأن سبق صاحبه أخذ الرهن، فهذا حلال. لأن الرهن إنما هو من أحدهما دون الآخر. وكذلك أن جعل كل واحد منهما رهناً وأدخلا بينهما محلاً، وهو فرس ثالث يكون بين الأولين، ويسمى أيضاً الدخيل، ولا يجعل صاحب الثالث شيئاً؛ ثم يرسلون الأفراس الثلاثة، فإن سبق أحد الأولين أخذ رهنه ورهن صاحبه، فكان له طيباً، وأن سبق الدخيل أخذ الرهنين جميعاً، وأن سبق هو لم يكن عليه شيء.

ولا يكون الدخيل إلا راجحاً جواداً يأمنون أن يسبقهما، فيذهب بالرهنين، فهذا جائز من الرهان. وإن كان المحلل غير جواد قد أماناً أن يسبقهما فهذا قمار، لأنهما كأنهما لم يدخلا بينهما شيئاً. وأصل هذا حديث سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أدخل فرساً بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فلا بأس به، ومن أدخل فرساً بين فرسين وهو يأمن أن يسبق فهو قمار". وروى الواقدي عن موسى بن محمد عن أبيه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى السبق عشرة أفراس، وما كان أكثر لم يعطه شيئاً".

وكانت العرب في الجاهلية لا تجعل القصب في زمانها إلا سبع قصبات، ولا تُدخل الحجر من الخيل إلا ثمانية أفراس. وكانوا يرسلون خيولهم عشرة عشرة. ويسمى الأول "السابق" و "المبرز" و "المجلي".

وكان من شأنهم أن يسمحوا على وجه السابق، وذلك قال جرير:

إذا شئتم أن تمسحوا وجه سابق **جواد فمدوا في الرهان عنانيا**

ويسمون الثاني "المصلي" لوضعه جحفلته على "صلاً" السابق، وهو عرق في ظاهر جهات الفخذ. وللداية "صلوان"، وهما جانباً عجب الذنب.

والثالث "المسلي" واشتقاقه من السلو، كأنه سلى صاحبه حيث جاء ثالثاً.

والرابع "التالي" لأنه يتلو المسلي، وكل تابع لشيء فهو تالٍ له.

والخامس "المرتاح"، من الرواح، ومعناه أنه أتى أواخر الأوائل، لأنه الخامس، وبه تنصف عدد السوابق، وهو أول الرواح وآخر العُدو، فكذلك خامس السوابق: آخر الأوائل، وأول الأواخر.

والسادس "العاطف"، من العطف والانتشاء، فكأن هذا الفرس هو عطف الأواخر على الأوائل، أي أثنائها فاشتق له اسم من فعله.

والسابع "الحظي"، وإنما كان حَظِيًّا لأنه نزل في الأواخر منزلة المصلّي في الأوائل، فحظي بذلك، إذ فاته أن يكون عاطفًا، فكانت له بذلك حُطوة دون من بعده.
والثامن "المؤمّل" لأنه منتظر الثلاثة المختلفة، إذ لا بد من سبق أحدها غالبًا، فلما تعيّن سَمِيَ مما تعلقَ به الأمل، وقيل فيه مؤمّل.

والتاسع "اللّطيم"، وإنما جعل ملطوماً حيث فاز المؤمّل دونه، فلطم وجهه عن دخول الحجره.
والعاشر "السكّيت"، وإنما قيل له سَكَيْت لما يعلو صاحبه من الذّلّ والسكوت. ووجب أن يكون كذلك، لأنه كان الذي قبله لَطِيماً، فما عسى أن يقول؟ فالعُدْرُ ينفعُهُ.
قال كلابُ بن حمزة: ولم نعلم أحداً من العرب في الجاهلية والإسلام وَصَفَ حَيْلَ الحَلْبَةِ بِأَسْمَائِهَا وَذَكَرَهَا عَلَى مَرَاتِبِهَا غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ ابْنِ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ، وَكَانَ بِالْجَزِيرَةِ، بِالْقَرْيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِحَصْنِ مَسْلَمَةَ، مِنْ كَوْرَةِ الرَّقَّةِ مِنْ دِيَارِ مَضْرُ؛ فَإِنَّهُ قَالَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةَ حَسَنَةً أَوْلَاهَا:

بمجمعة ضمّها الموسمُ

شهدنا الرّهان غداة الرهان

ونحن بصنعتها أقومُ

نقود إليها مقادّ الجميع

يقول فيها عند ذكر الحلبّة:

وسلّى فلم يُذَمَّ الأذهمُ

فجلى الأغرُّ وصلّى الكميتُ

وأين من المنجدِ المئهم؟

وأردفها رابعٌ تالياً

وقد جاءَ يقدم ما يقدم

وما ذمّ مرتأخها خامساً

يكاد لحييرته يحرم

وسادسها العاطف المستحير

فأسهمه حظّه المُسنهمُ

وجاءَ الحظيُّ لها سابعاً

وغنى له الطائر الأشامُ

وجاءَ المؤمّل فيها يخيب

فمن كلِّ ناحية يُلطمُ

وجاءَ اللطيم لها تاسعاً

وذفراه من قُبة أعظمُ

يخبُّ السكّيت على إثره

والقصيدة طويلة متممة الأغراض في معناها، ذكّرها أبو الحسن المسعودي في كتابه "مروج الذهب". وإنما أتينا نحن منها بالأبيات التي تضمنت ذكر حيل الحلبّة فقط.

والحلبّة مَجْمَعُ الحَيْلِ، ويقال مجتمع الناس للرّهان؛ وهو من قولك: حَلَبَ بنو فلان على بني فلان، وأَحْلَبُوا: أي أَجْمَعُوا.

فصل

وصفة الفرس الذي يمكن أن يحضر الغاية ويجاري الحلبة على غير تضمير ولا تحمّل ولا تشمير: إن يكون رَحَبَ المتنفس: جوفه ومنخره، رَحَبَ الإرهاب، عريض المتن، عريض القَطَاة، قد تجافت عن كليتيه، هَرَيْتَ الشَّدقين، غزير الرِّيق، رَحَبَ الصِّدْر، لاحق الصِّفاق، ويكون مع ذلك هشاً، يَحْمِي عرقه رَبْوُ بدنه.

فإذا كان على هذه الصفات فالأحسن له والأحوط عليه أن لا يُرْسَل في المضمار على أثر دَعَة، حتى يكون قد أخذ منه أياماً، فلحق بطنه أي خفّ، ويكون قد استركع للركض أي اشتدّ له. وأيضاً فإن بطنه على أثر الدعة يكون في يكون الأكثر ممتلئاً، وصفاً ممتداً، فرما صكّه بثفناته فقطعه أو أعتته وقصّر به، والمودع لا يضير أبداً كضير غيره من الخيل التي أخذ منها بالرياضة والعمل. وقد نرى من الوحش والكلاب وهي مما لا تضمّر ولا تصنّع إذا كلّفت الجري على دعة رَبت وبهرت وانقطعت عمّا كانت تفعله في غير دعة. وكلّ حيوان إذا ودع استرخى، فلا خير في اقتحام المضمار إلا بعد العمل والإضمار. وإن كان على الصفة المشكورة، والحلقة المفورة.

والمستحب في التضمير، بل الذي لا يجب غيره: حسن الولاية في السياسة، وقلة السامة في النظر والخدمة، وموالة الركوب بمقدار ما يحتاج إليه في ذلك، وتقليل علف الدابة مرة، وإدخالها بيتاً كنيئاً وتجليها فيه لتعرق ويجفّ عرقها. فيصلب لحمها ويخف وتقوى. وليس الإضمار بأن يهزل الفرس ويذال ويخس من حقه، وإنما يفعل ذلك ليشد لحمه، ويعصر جسمه، وتذهب فضولته، ويبقى على ما طبعت عليه أصوله. وذكّر ابن بَين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بإضمار خيله بالحشيش اليابس، شيئاً بعد شيء، وطياً بعد طي. ويقول: أرؤوها من الماء، واسقوها غدوةً وعشياً، وألزموها الجلال، فإنها تلقى الماء عرقاً تحت الجلال فتصفو ألوانها، وتتسع جلودها.

وكان صلى الله عليه وسلم أمر أن يقودها كل يوم مرتين، ويؤخذ منها من الجري الشوط والشوطان، ولا تركض حتى تنطوي.

والخيل تختلف أحوالها، وتباين أشكالها، وكل واحد منها يختص بمضماره، ويحمل منه على حده ومقداره، فليؤخذ كل واحد منها على حاله ومشاطه، وبقدر كسله أو نشاطه، بعون الله.

الباب الثاني عشر

أسماء خيل رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأسماء فحول خيل العرب ومذكوراتها

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جملة أفراس. فمنها "السَّكْب". وهو الذي كان عليه يوم أُحُدٍ، حكاه ابن قُتَيْبَةَ. ومنها "المرْتَجَز"، وإنما سُمِّيَ المرْتَجَزُ بِجُحْسَنٍ صِهَيْلِهِ. وكان له فرس يقال له "لِزَاز". وفرس يقال له "الظَّرْب". وفرس يقال له "اللَّحِيف". وفرس يقال له "الوَرْد". وزاد غيرُ ابن قُتَيْبَةَ فرساً يقال له "مُلاوِح"، وفرساً يقال له "الْيَعْسُوب". والورد هو الذي أهداه له تميمُ الدَّارِيُّ. فهذه خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره ابن قُتَيْبَةَ وغيره.

وأما خيلُ العرب فمن أقدمها "زَادُ الرَّاكِبِ"، وهو الذي وهبه سليمانُ بنُ داودَ عليهما السلام لقوم من الأَزْدِ كانوا أصهاره، فكان أولُ فرَسٍ انتشر في العرب من خيله. وقيل: فلما سمعت بذلك تَعَلَّبُ أتوهم فاستطرقوهم، فنتَجَّوا فرساً أجود من زادِ الرَّاكِبِ، فَسَمَّوْهُ "المُهْجِسَ"، فلما سمعت بذلك بكرُ بن وائل أتوا بني تغلب فاستطرقوهم، فنتججوا فرساً أجود من المُهْجِسِ فَسَمَّوْهُ "الديناري".

وذكر محمد بن السَّائِبِ وغيره من العلماء أسماء الخيل المعروفة المشهورة في أشعار العرب. منها في قريش خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد تقدم ذكرها.

ومنها فرسُ حمزة بن عبدِ المطلب "الورد"، وهو من بنات "ذي العُقَالِ"، من "بنات أعوج". وقال حمزة رضي الله عنه في ذلك

قَارِحَ مِنْ بَنَاتِ ذِي الْعُقَالِ

لَيْسَ عِنْدِي إِلَّا سِلَاحٌ وَوَرْدٌ

وَهُوَ دُونِي يَغْشَى صُدُورَ الْعَوَالِي

أَتَقَى دُونَهُ الْمَنَائِي بِنَفْسِي

وحدث الكَلْبِيُّ عن أبي صالح عن ابن عباس أن "أعوج" كان سيِّد خيل داودَ المشهورة، "وأنه" كان ملك من ملوكِ كِنْدَةَ، فغزا بني سليمَ يَوْمَ عِلَافٍ، فهزموه وأخذوا "أعوج"، ثم صار إلى بني هلالٍ من بني عامرٍ فأجاد في نسله. ثم انتشرت الخيلُ الجيادُ في العرب، فكان فيما يُسَمَّى لنا من فُحُوها وإنائها: - "العُراب" و "الوجيه" و "لاحق" و "المذهب" و "مكتوم"، وكنَّ لغنيِّ بنِ أعصُر.

وكان منها "ذو العُقَالِ" لبني رياح بن يربوع. ومنها "ذاحس"، وهو ابن ذِي الْعُقَالِ. ومنها "الْحَنَفَاءُ" أخت "ذاحس" لحذيفة بن بدرِ الفَرَّارِيِّ. ومنها "الغبراء" كانت لحَمَلِ بن بدرِ الفَرَّارِيِّ. ومنها "قسام" كان لبني جَعْدَةَ.

وكان منها "فَيَاض" و "سَبَل" لبني جعدة أيضاً. وكان منها "الحَمَالَةَ" و "القُرَيْظُ" لبني سُلَيْمِ. فأما

"دَاحِسٌ" فكان لقيس ابن زهير بن جَدِيمَةَ العَبْسِيِّ. فراهن عليه حُدَيْفَةُ بن بَدْرِ الفزاري، فوَقعت فيه حرب غَطَفَان، ودامت بينهم فيما ذكروا أربعين عاماً. فثشاءمت به العرب وبِنيه. ومن ذلك قول بشير بن أَبِي العَبْسِيِّ.

وإن الرباط النكد من آل داحس

أبين فما يفلحن يوم رهان

جلبن بإذن الله مقتل مالك

وطرحن قيساً من وراء عمان

وكان منها في كنانة "اللطيّم" فرس ربيعة بن مُكَدَّم، و "مَصَاد" فرس لابن غادية الخزاعي. و "الأجدل" فرس أبي درّ الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان منها "البَعْسُوب" فرس الزبير بن العوام. و "ذو اللّمة" فرس عكاشة بن محصن و "ريرة" فرس الجميع "بن" منقذ الأسدي، و "حزمة" فرس حنظلة بن فاتك بن الأسدي. و "ظبية" فراس الهراس الأسدي. و "الحمالة" فرس طليحة بن خويلد الأسدي ولها يقول:

نصبت لهم صدرَ "الحمالة" إنها

معوذة قِبل الكماة نزال

فيوماً تراها في الجلال مصونة

ويوماً تراها غير ذات جلال

و "معروف" فرس سلمة بن هند الغاضري. و "المنيحة" فرس دثار بن فقّيس الأسدي. و "ناصح" فرس فصالة بن هند بن شريك الأسدي، وله يقول:

أناصح شمراً للرهان فإنها

غداة حفاظ جمعتها الحلائب

أنتذكر الباسيك في كل شئوة

ردائي، وإطعاميك والبطن ساغب؟

و "اللطيّم" فرس أيضاً لفصالة المذكور.

وكان منها في بني تميم بن مرّ "الشوهاء" فرس حاجب بن زُرارة التميمي. و "الرقيب" فرس الزبيرقان بن بدر التميمي.

وكان من نتاج "أعوج" لبني أسد "العسجدي". و "أثال" فرس ضَمْرَةَ بن ضَمْرَةَ بن دارم. و "الخذواء" فرس شيطان ابن الحكم بن يربوع. و "الشيط" فرس لبيد بن جبلة الضبي. و "العرادة" فرس كلحبة اليربوعي. و "الأحوى" فرس عُوَيْد ابن سلمى بن ربيعة الضبي. و "الأغر" فرس طريف بن تميم. و "كامل" فرس زيد الفوارس الضبي. و "ذو الوشوم" فرس عبد الله ابن عداء. و "وحفة" فرس علانة بن الجلاس التميمي. و "مبدوع" فرس الحارث بن ضرار الضبي. و "الغراف" فرس البراء بن قيس بن عتاب. و

"الشَّقرَاء" فرس الرُّقَاد بن المنذر الضبي. و "المكسّر" فرس عُتَيْبَةَ بن الحارث بن شهاب. و "شَوْلَة" فرس زيد الفوارس الضبي. و "النحّام" فرس سُليكَ، وفيه يقول:

قدّم النحّام واعجل يا غلام
واقذف السرج عليه واللجام

و "الورد" و "الجمانة" فرساً عامر بن الطفيل. و "حذفة" فرس خالد بن جعفر بن كلاب. و "جروة" فرس شدّاد بن معاوية العبسي.

و "الأبجر" فرس عنتر بن شداد بن معاوية العبسي. وفيه يقول:

لا تعجلي: أشدُّ حزام الأبجر
إني إذا الموتُ دعا لم أضجر

و لم أمنّ النفس بالتأخر و "وجزة" فرس يزيد بن أبي سنان المرّي فارس غطفان.

و "محاج" فرس مالك بن عوف. وله يقول يوم حنين:

أقدم محاج أنه يوم نكر
متلى على مثلك يحمي ويكر

إذا أضيع الصفُّ يوماً والدُّبر و "العبيد" فرس العباس بن مردّاس السلمي، وهو الذي عاتب النبي صلى الله عليه وسلم حين أعطى عُيَيْنَةَ بن حصن الفزاري. والأقرع بن حابس التميمي مائة مائة من الأبل، وأعطاه أباعر قلائل. فقال في ذلك:

أجعل نهبي ونهب العبي
د بين عينة والأقرع؟

وما كان حصن ولا حابس
يقوقان مردّاس في مجمع

وما أنا دون امرئ منهما
ومن تزع اليوم لا يرفع

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أذهبوا به فاقطعوا عني لسانه، فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و "البيضاء" فرس بجير بن عبد الله بن قشير. و "المصبح" فرس عوف بن الكاهن السلمي. و "الصيود" فرس مشهورة منسوبة في جباد خيل العرب. و "الضخّم" فرس لرخصة بن مؤمل السلمي، وله يقول:

أليس أحق الناس أن يشهد الوعى
وأن يقتل الأبطال ضخّم على ضخّم؟

و "قُرزل" فرس الطفيل بن مالك العامري. و "القويس" فرس سلمة ابن الحارث العبسي و "سلم" فرس زبّان بن سيّار الفزاري. و "مياس" فرس شمير بن ربيعة الباهلي. و "النعامة" فرس كان في ربيعة للحارث بن عبّاد. و "زيم" فرس الأحنس بن شهاب التغلبي، وكان من مشهوري فرسان العرب. ولها يقول:

هذا أو أن الشدّ فاشتدّي زيم
لا عيش إلا الطعن في يوم البهم

و "خُميرة" فرس شيطان بن مُدْلَجِ الْجَشَمِي. و "النُّبَاكُ" فرس الصباح بن خالد التغليبي. و "الشَّمُوسُ" فرس يزيد بن خَدَّاق. و "العَتْرُ" فرس أبي عفرأ بن سنان المحاربي. و "الْحَوْنُ" كان منها في اليمن فرس امرئ القيس بن حُجْر الكندي. و "العَطَافُ" فرس عمرو ابن مَعْدِ يَكْرَبِ الزَيْدِي. و "الهَطَّالُ" فرس زيد الخليل بن مُهلِهَلِ الطائي، ويكنى "أبا مكنف" وفيه يقول:

أرى حرباً تَلَفَّحَ عن حِيَالِ

أَقْرَبُ مَرَبُطَ الهَطَّالِ إِنِّي

وَأُوتِرُهُ عَلَى جُلِّ العِيَالِ

أَسُوِيهِ بِمَكْنَفٍ إِذْ شَتَوْنَا

وَسُمِّيَ "زَيْدُ الخَيْلِ" لكثرة خليه، فمن عتاقها: "الهَطَّالُ" المذكور، و "الكامل" و "الكُمَيْتُ"، و "الوَرْدُ"، و "الآحِقُ"، و "دَعْوَلُ".

قال ابن إسحاق: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ طَبَّيَ فِيهِمْ "زَيْدُ الخَيْلِ"، وَهُوَ سِيدهم، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهِ وَكَلَّمُوهُ عَرَضَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمُوا وَحَسَّنَ إِسْلَامَهُمْ، ثُمَّ سَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "زَيْدَ الخَيْرِ".

و "العَطَّاسُ" فرس عبد الله بن عبد المَدَن. و "العَصَا" فرس جَدِيمَةُ ابن مالك الأزدِي، ملك الحيرة في أول الزمان، قبل بني المنذر بدهر، وهو جَدِيمَةُ الأبرشُ الذي قتلته الزبَّاء، ونجا قَصِيرِ عَلَى فرسه "العَصَا" فأخذ بثأره بعد ذلك، وقتل الزبَّاءَ فِي حَدِيثِ طَوِيلِ.

و "الضُّبَيْبُ" فرس حَسَّانِ بن حَنْظَلَةَ الكندي؛ وكان شهد مع كِسْرَى يوم النَّهْرَوَانِ، ويوم التَّقَى كِسْرَى وبهْرَامِ، فهزم كِسْرَى، فخرج هارِباً وأدركه حَسَّانُ بن حَنْظَلَةَ، وقد قام بكِسْرَى بِرَدِّوْنِهِ، فترل حسان عن فرسه الضُّبَيْبِ، فركبه كِسْرَى ونجا، فقال حسان في ذلك:

لَأَتْرِكُهُ فِي الخَيْلِ يَعْثُرُ راجِلاً

تَلَفَيْتُ كِسْرَى أَنْ يُضَامَ وَلَمْ أَكُنْ

مَسُوْمَةً مِنْ خَيْلِ تَرْكٍ وَكأَبِلاً

بَدَلْتُ لَهُ صَدْرَ الضُّبَيْبِ وَقَدْ بَدْتُ

ثُمَّ ظَهَرَ كِسْرَى فقتل بهْرَامَ، فاما اسْتَقَرَّ بِهِ ملكه أتاه حَسَّانُ بن حَنْظَلَةَ، فأقام ببابه لا يصل إليه، فلما طال به الأمر أتى الحاجب فقال: إنك قد أطلت حجاي، وأنا أعظم الناس يداً عند كِسْرَى، فأعلمه مكاني، فأعلمه مكانه، فإذا له فقال: من أنت؟ وما يدُكْ هذه؟ قال: أنا الذي حملتك على فرسي يوم النَّهْرَوَانِ، وقد قام بن برَدُونِكْ! قال كِسْرَى: أُوْفٍ لَكَ! لقد ذكَّرتني أَخْبَثَ يوم مرَّ بي قَطُّ! أَخْرِجُوا هذا الكلب! فأخْرِجُوهُ.. حتى إذا تجلَّت عن كِسْرَى الهموم ندم واستحى، فأكرمه وأحسن جائزته، وأقطعته "طَسُوجَ"، وهي من الكوفة على فراسخ.

و "الْبُرَيْتُ" فرس ابن قبيصة الطائي. "حَوْمَل" فرس حارثة بن أنس. بن الحارث. و "اليَحْموم" فرس النعمان بن المنذر ملك العرب، وكان "اليحموم" من رباط غطفان. و "القُرَيْط" و "نَحْلَة" و "شاهر" أفراس لكندة. و "خصاف" فرس مالك بن عمرو ابن المنذر بن الحارث بن مارية ذات القرطين المعلقين بالكعبة.

وكان مالك بن عمرو جَبَانًا فأذاق إذا شهد الحرب كان منها مَدَى التَّبَل، إذ جاءه سهم يومًا، فوقع عند يد فرسه، فقال: إن كاد هذا السهم أن يصيبني، فاهتز السهم وكثر اهتزازة وهو ينظر إليه، فتزل فحفر عنه، فإذا السهم قد أصاب يَرْبوعًا في نَفَقَه. فلم يخطئ جمجمته فقتله. فركب مالكُ بِنُ عَمْرٍو، فقال "ما المرء في شيء ولا اليربوع". فَذَهَبَتْ مَثَلًا. ثم قال: أراني أفرُّ بأجلي، وقد دخل السهم على اليربوع حين وفي أجله، ولم يُغن عنه شيئًا تحرُّزه، ما أموت ولا أقتل إلا بأجلي، فَحَمَل فَحَرَقَ الصَّفَّ مُقْبَلًا ومدبرًا، فكان بعد ذلك من اشد قومته. فقال في ذلك شاعر من غسان:

أصاب ولا يُشوي ويمم قاصداً

إذا وجه الدهرُ السهامَ إلى امرئ

وأبي امرئ يبقي على الدهر خالداً

ورب خصاف قد أفانت سهامه

و "الضُّبَيْح" فرس حَوَات بن جُبَيْر الأنصاري. و "الورْهَاء" فرس فَتَادَة الكندي. و "كنزة" فرس المنذر بن شماس الجذامي. و "اليسير" فرس أبي النَّضِير السعدي. و "الهدَّاج" فرس الرِّيب ابن الشَّرِيق السعدي. و "الجَوْن" فرس الحارث بن أبي شَمِر الغساني. قال فيه عَلَقْمَة حين أسر أخاه شأساً قصدته التي أولها: طحاً بك قلب في الحسان طروب يقول فيها بعد:

لأبوا خزأيا، والإياب حبيب

فأقسم لولا فارس الجون منهم

وأنت لبييض الدراعين ضرُوب

تقدمه حتى تغيب حُجُوله

و "العَارْم" فرس المنذر بن الأعلم الخولاني. و "العَرَن" فرس عُمير بن جَبَل البجلي. و "نِصاب" فرس الأحوص بن ثعلبة الكلبي. وابتها "وربعة" وهبها الأحوص لمالك بن نويرة. و "موكل" و "القرَّاع" فرسا ربعة بن غزالة اليشكري. و "الغزاة" فرس محلم ابن الأرقم. و "صَعْدَة" فرس ذؤيب بن هلال الخزاعي. و "النعامَة" فرس قُرَّاص الأزدي. و "ذو الريش" فرس السَّمَح ابن هند الخولاني، و "الطَّيَّار" فرس أبي رَيْسَانَ الخولاني. و "الجَنَاح" فرس محمد بن مسلمة الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. و "المُعَلِّي" فرس الأسعر بن "أبي" حُمُرَان الجعفي. و "بهرام" فرس النعمان "بن عُقْبَة" العتكلي. و "صُهَي" فرس النَّمِر بن تَوَلَّب العكلي. وفيها يقول:

وركض الخيل تختلج اختلاجا؟

أتذهب باطلاً عدوات صُهبي

وكرى في الكريهة كل يوم

إذا الأصوات خالطت العجاجا

و "الحليل" فرس مقسم بن كثير الأصبحي. و "أطلال" فرس بكير الكناي و "الغمامة". و "الصريح". و "قيد" و "مادق" كانت لملوك بني ماء السماء. و "الشعور" فرس الحبطات من بني تميم، و "آفق". و "الخباس". و "ناعق" لبني فقيم. و "رعشن" لمراد. و "الصغا" فرس مجاشع بن مسعود السلمى، و كانت من نجل "العبراء" فرس حمل بن بدر الفزاري، فاشترها عمر بن الخطاب بعشرة آلاف درهم، ثم غزا مجاشع، فقال عمر رضي الله عنه: تحبس هذه بالمدينة وصاحبها في نخور العدو، وهو إليها أحوج؟! فردها إليه فأتتحت عند ولده، حتى بعث الحجاج "بن يوسف" فأخذ بقيتها منهم.

و "القتادي". و "الترياق" للخزرج في الإسلام. و "الحرون" فرس مسلم بن عمرو، أبي قتيبة بن مسلم الباهلي، اشتراه من رجل - وقد حرن تحته - بألف درهم، ثم رأى في منامه أن عصفير تخرج من إحليله، فأرسل إلى محمد بن سيرين، فقال له ابن سيرين: إن صدقت رؤياك لتنتجن جيادا! فمنه الجياد اليوم. و "مناهب" لبني تغلب بن يربوع. و "الصيف" لبني تغلب. و "حميل" لبني عجل. و "البطين". و "البواب". و "الذائد" من "الحرون" المذكور، فرس مسلم بن عمرو الباهلي المذكور. و "الصاحب" غني الباهلي. ومنها "عطيف" من خيول أهل الشام. ومنها "الأعرابي" كان لعباد بن زياد من خيل أهل العالية. ومنها "القطراني" السلامي. و كان "الذائد" للعباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. و جل السوابق تنسب إلى "البطين" و "الذائد".

الباب الثالث عشر

ذكر أفاظ شتى

وتسمية أشياء تختص بها الخيل

من ذلك سن الفرس. إذا وضعته أمة "مهر" ثم "فلو". فإذا استكمل سنة فهو "حولي". ثم في الثانية "جدع". ثم في الثالثة "نبي". ثم في الرابعة "رباع". ثم في الخامسة "قارح". ثم بعد ذلك إلى أن يتناسى عمره "مذك".

فصل في أصواته وما ينسب إليه من ضروب ضربه

"الصَّهِيل" صوته في أكثر أحواله. "الصَّبْح" صوت نَفَسه إذا عدا. وقد نطق به القرآن "القَبْع" صوتٌ يردده من حلقة إلى مَنْخَرِيه إذا نفر شيء أو كرهه. "الحمَّمة" صوته إذا طلب العلف أو رأى صاحبه فاستأنس إليه.

"النَّثِير" هو له كالعطاس للإنسان. "الخَضْبعة" و "الوَقِيب" صوتُ بطنه. وكذلك "البَقْبعة" و "القَبْبعة". و "الرَّعِيق" و "الرُّعاق" صوت يسمع من قُنْبِه، كما يُسمع "الوعيق" من فَرْجِ الرَّمْكة. وأما ضروب ضَرْبِه فيقال: "نَفَحَت" الدابة بيدها و "رَمَحَت" برجلها، و "نطحت" برأسها، و "صدمت" بصدرها، و "خَطَرَت" بذَنبِها.

فصل في صفات مشيه وعدوه على التفصيل

"الضَّير" هو أن يثبت فتقع قوائمه مجتمعة "العَنقُ" هو أن يتباعد بين خُطاه ويتوسع في مشيه. و "الهَمْلَجَةُ" هو أن يقارب بين خُطاه مع الإسراع، وهو السير عند الناس. "الارتجال" هو أن يخلط الهملجة بالعنق. "الخَبُّ" و "الخَبَبُ" هو أن يستقيم بهاديه في جَرِيه، ويرواح بين يديه ويقبض رجليه. "الصَّبْع" هو أن يلوي حافر يديه إلى عَضُدِيه. "العُجَيْلِي" هو بين الخَبِّ والتقريب. "التقريب" هو أن يرفع يديه معاً. "الرَّدِيان" هو أن يرحم الأرض بحافره رجماً. "الدَّخُو" هو أن يرمي رمياً. ولا يرفع سُنْبُكُه من الأرض كثيراً. "الإجماج" هو أن يأخذ في العَدُو قبل أن يضطرم. "الإحضار" هو أن يَعْدُو عَدُوًّا متداركاً. "الإهذاب" و "الإلْهَاب" هو أن يضطرم في عدوه. "الإرخاء" هو أشد من "الإحضار" وكذلك "الابتراك". "الإهماج" هو أن يجتهد في يَدْل ما عنده ويستفرغ جهده. وترتيب العَدُو عندهم: "الخَبُّ" أولاً، ثم "التقريب"، ثم "الإجماج"، ثم "الإحضار"، ثم "الإرخاء"، ثم "الإهذاب"، ثم "الإهماج".

فصل في زجره وحثه

تقول العرب: أوْشيت الفرس، وأهْبِئْهُ بالسَّوْط، ومَرَيْتُه بالعقب. قال الشاعر:

يُوشُونَهُنَّ إِذَا آنَسُوا فَزَعًا تحت السَّنَوْرَ بالأعقاب والجذم

أي يستخرجون جريها بالركض بالأقدام، وهي الأعقاب، وبالضرب بالسياط، وهي الجذم. قال عمرو القيس بصف فرسه في حالة الجري:

فَللسَّوْطِ أَلْهُوبٌ وَللسَّاقِ دِرَّةٌ وللزجر منه وَقَعُ أهُوجٍ مَنَعَبِ

يقول إذا حرّكةُ بساقه أهبّ الجري، أي أتى بجري كالتهاب النار، وإذا ضربه بالسوط درّ بالجري. وإذا زجر وقع منه ذلك موقعه من الأهوج الذي لا عقل له. والمنعِبُ: الذي يمدُّ عنقه في الجري. والهمزُ والعَمَزُ بالعقبِ معروفان.

فصل

وأما الزجر فهو بألفاظ عودتها الخيل وألفت لغاتها. فمما كانت العرب تستعمل من ذلك: "يهياه". و "هل" قال الشاعر:

فزجرناه بيهياه وهل

فَظَنَّا أَنَّهُ غَالِبُهُ

وكذلك "أرحب". و "أرحى". و "أقدم". و "هَب" و "هَي".

وكان يستعمل في تسكينه وكفه عن حركته ومرحه قولهم "هلاً". قال الشاعر:

وكان الذي يألون قولاً له "هلاً"

إذا قاده السؤاس لا يملكونه

وقد جمع طفيلُ العنويُّ زجرَ الخيل في بيت واحد. فقال:

وها وهلاً وأصبر وقادعها هبي

وقيل أقدمي وأقدم وأخ وأخرى

ومنه "التقر" وهو أن ينفذ له بفيه، وذلك بأن وضع طرف اللسان على مقدم الحنك الأعلى، ويتزع بعد الشد، فيصوت بترعة صوتاً قد فهمت الخيل منه التسكين عادة، كما فهمت الصفير عند شرب الماء. حتى قال الشاعر:

رأيت الخيل تشرب بالصفير

ولا تشرب بلا طرب فإني

وقال امرؤ القيس في التقر:

ويرفع طرفاً غير جاف غضيض

أخضضه بالنقر لما علوته

ولكل قوم عادة، وفي كل زمان نقص وزيادة.

فصل في أوصاف تخصصه

يقال فرس "ضليع": شديد الأضلاع. و "مشياط": سريع السمن. و "صلود": لا يعرق. والعصيم: هو عرقه إذا يبس عليه. وفرس "حوار العنان": إذا كان ليّن المعطف. وفرس "قلهدم": إذا كان في جملة خلقه قصيراً جداً. وفرس "كهام": كليل عن الغاية. و "العجيز" من الخيل: كالعين من الرجال. ويقال في حمل الرمكة: "عقوق". وفي التاج: "تتوج".

فصل في أوصاف فعله وتقلبه

"القَضْم": هو أن يأخذ في الرعي بحافله وثناياه. و "الخَضْم": إن يأخذ بفيه كله. و "الأزْم": شدُّه على اللجام بفيه.

ومما يفعل به: "التسويم" وهو إرساله في المرعى وتركه وحده. تقول: سوّمته وأهملته. و "التنديّة": أن تورده الماء حتى يشرب، ثم ترده إلى الرعي يأخذ منه لَمَمَه، ثم ترده إلى الماء. تقول: ندّيته تنديّةً. واسم الموضع يفعل به ذلك "المندي". و "التمرغ" هو أن تصوّت به حتى يربض ويتمرغ في التراب. وذلك ترفيه له من الإعياء، وشفاء من التعب والعرق، وربما فعل الفرس ذلك بنفسه، فاستراح إليه. واسم الموضع الذي يفعل ذلك فيه "المراغة"

فصل في ألفاظ تختص بجماعات الخيل

"الطليلة": هي أول الجيش. و "سرعان" الخيل: أوائلها. و "المسبقات" من الخيل: المتقدّمت، وهي "البوادي".

و "ساقة" العسكر: آخره. و "الكبول": آخر الصفوف في الحرب. و "أندلفت" الخيل إذا خرجت أول خروجها بسرعة.

وأول جماعاتها: "مقنب"، ثم "منسر"، ثم "رعيل" و "رَعْلَة"، ثم "كردوس"، ثم "قنبلة".

فصل في أسماء العساكر

أولها "جريدة" وهي التي تُجرّد لوجه من الوجوه. ثم "سرية" وهي من خمسين إلى أربعمئة. ثم "كتيبة" وهي من خمسمائة إلى ألف. ثم "الجيش" وهو ألف أربعة آلاف. وكذلك "الفيلق" و "الجحفل". ثم "الخميس" وهو من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفاً. و "العسكر" يجمعها.

فصل في نعوتها بالكثرة وشدة الشوكة

كتيبة "رَجْرَاجَةٌ". جيش "لَجِبٌ". عَسْكَرٌ "جَرَّارٌ". جَحْفَلٌ "لُهَامٌ". خَمِيسٌ "عَرْمَرَمٌ". وكان يقال لكتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخضراء"، وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد فيها. وكل كتيبة كثر فيها الحديد فهي خضراء.

فصل في أماكن تختص بها الخيل جماعات وأحادا

"المُعسَكْرُ": موضع العسكر. "المعركة": مكان القتال. "الملحمة": مكان القتل الشديد. "المأزق": و "المأقَط" ما تضايق من أماكن الحرب. "الأصْطَبَل": بيتها الذي تحبس فيه. "مَرَبِطُهَا": موضع ربطها من ذلك و "الآرى": مكان اعتلائها.

فصل في أسماء أشياء تخص بها الخيل دون غيرها

"المقبص" و "المقوس": جبل تُصَفُّ عليه الخيل عند السباق و "الوهق": جبل يُرمى به بأنشطة تؤخذ به الدابة إذا نَدَّت. "الرَّسْنُ" و "القياد" و "المقود": ما يوضع في رأسها فتقاد به. و "الشكيمة": فأس اللجام. و "الحكمة": دون اللجام. و "الوثاق": ما يوثق به الفرس جملةً. و "الطَّوَل" و "الطَّيْلُ": جبل "يشد" به الفرس ويرسل في المرعى، وهو يمسك صاحبه بطرفه، أو يوثقه بالأرض بوتد أو غيره. و "القيد" ليديه. و "الشكال": جبل له عُرى يُوضع في يد ورجل، وقد يوضع في يد ورجل من خلاف. و "الأخية": جبل له عُروة واحدة يوضع في رجل الفرس، ويوثق طرفها بالأرض. وهي "الرَبَّة". و "الرباط": جبل تحبس به الدابة خاص لها. تقول: ربطت الفرس بالرباط. وهو الجبل الواحد، وأوثقها بالوثاق أجمع. و تقول "وَدَجَتِ" الفرس، والوداج خاصٌ بالدابة، كالفِصَادِ للإنسان. و "سمرتة" إذا أنعلته بالحديد. وذلك أيضاً خاص بالدابة.

الباب الرابع عشر

ذكر نبذة من الشعر في إثارة العرب الخيل

على غيرها وإكرامها لها وافتخارها بذلك

لم تزل العرب تفضِّل الجياد من الخيل على الأولاد، وتستكرمها للزينة والطرْد. على أنهم ليطوونَ مع شبعها، ويظمئون مع ربِّها، ويؤثرونها على أنفسهم وأهليهم عند حلول الأزمات والأواء، واغبرار آفاق السنَّة الشهباء.

وعلى ذلك تدل أخبارهم وتشهد أشعارهم. فلنذكر من ذلك نبذة إن شاء الله. فمما روى لأحد بني عامر بن صعصعة:

بني عامرٍ ما لي أرى الخيل أصبحتُ
بني عامرٍ إن الخيول وقايةٌ
أهينوا لها تكرمون وباشروا
متى تكرموها يُكْرِمِ المرءُ نفسه
ومن ذلك كلام الأُسعر بن حُمُران الجعْفِيّ:
ولقد عَلِمْتُ على تجنُّبِي الرَّدَى
إني وجدت الخيلَ عزًّا ظاهرًا
وتَبَيْتُ للثَّغرِ المخوفِ طلائعًا
وقال طُفيل العَنَوِيّ:

إني وإن قلَّ مالي لا يُفارِقني
أو ساهمُ الوجه لم تُقَطِّعْ أباجلُهُ
وقال إسماعيل بن عَجَلان:

ولا مالَ إلا الخيل عندي أعدُّه
أقاسمُها مالي وأطعمُ فضلها
إذا لم يكن عندي جوادٌ رأيتُني
وقال كعب بن مالك:

ونُعِدُّ للأعداءِ كلَّ مضمر
أمر المليك بربطها لعدوّه
فتكون غيظًا للعدوِّ وحائطًا

وقال علقمة بن عمرو المازني:

ما كنت اجعل مالي فرغ سانيةٍ
الخيول من عدَّتِي أوصى الإله بها
كم من مدينةٍ جبار أطفن بها

وقال قيسُ بن الحارث:

بطاناً وبعض الضمّر للخيال أفضل
لأنفسكم والموت وقتٌ مؤجَّلُ
صيانتها، والصون للخيال أجملُ
وكلُّ امرئٍ من قومه حيثُ ينزلُ

أن الحصون الخيلُ لا مدرُّ القرى
تتجى من الغمِّ ويكشفن العمى
وتَبَيْتُ للصُّعْلوكِ غرةَ ذي الغنى

مثلُ النعامَةِ في أوصاله طُولُ
يِصانٍ وهو ليومَ الرِّوَعِ مَبْدُولُ

وإن كنتُ من حُمُرِ الدنانيرِ مؤسرا
عيالي، وأرجو أن أعان وأوجرا
ولو كان عندي كنزُ قارونَ مُعسرا

ورَدِّ ومحجولِ القوائمِ أبلقِ
في الحربِ. إن الله خيرُ موفِّقِ
لدارٍ إن دَلَفْتَ خيولَ المُرِّقِ

في رأسِ جذعِ يَصُبُّ الماءَ في الطينِ
ولم يُوصِّ بغيرِ بغيرِ البساتينِ
حتى تَرَكْنَ الأعالِي كالميادينِ

لا تُقْصِيا مَرْبِطَ الشَّقْراءِ مُنْتَبِذاً
كم من فقيرٍ بإذنِ الله قد نَعَشَتْ
وقال عنترَةُ الفوارسِ في فَرَسِ أبيه شَدَّادِ:

فإن رَيْبَ الدَّهرِ مرهوبُ
ومترَفٍ تَرَكتُهُ وهو مجدوبُ

فمن يك سائلاً عني فإني

"وجرُوةٌ" لا تَرُودُ ولا تُعارُ
وراء الحيِّ تَتَّبِعُها المِهَارُ

مقربَةَ الشتاءِ فلا تراها

وقال ضبيعةُ القَيْسيُّ:

جزى الله "الأغرَّ" جزاءَ صِدْقِ

إذا ما أوقدتُ نارَ الحروبِ

يقيني باللَّبَّانِ وَمَنْكَبِيهِ

وأحميه بمُطَرِّدِ الكُعبِ

وأدْفِيهِ إذا هَبَّتْ شمالُ

، بَليلِ، حَرَجَفُ بعدَ الجنوبِ

أُراهُ أَهلَ حينِ يَسْعَى

رِعاةَ الحَيِّ في جَمعِ الحَلُوبِ !

وقال الأعرجُ المعنِيُّ:

أرى أمَّ عمرو لا تزالُ تَوَجَّعُ

تَلُومُ ولا أدري علامَ تَفَجَّعُ

تلومُ على أنْ أَمْنَحَ الوَرْدَ لِقِحةً

وما تستوي والوردُ ساعة تَفزَعُ

إذا هي قامت حاسراً مشمِلةً

نَخيبَ الفؤادِ رأسُها لا يُقَنِّعُ

وقُمتُ إليه باللِّجامِ وسرجه

هنالك يَجزِينِي بما كنتُ أصنعُ

وقال مَكْحُولُ بن عبد الله السَّعدي:

تلومُ على رَبِّطِ الجِيادِ وحبَّسها

ووصَّى بها اللهُ النَّبيُّ محمداً

ذريني وعدي من عيالك شطبة

كُمَيْتاً، ومشمولِ الجوانحِ أقوداً

إذا قيلَ أَمْسِكْهُ وقد فاضَ ماؤُه

أبى، وترامى بالوليدِ فأبعداً

وقال القحيفُ بن حُميرِ العُقيلي:

وحالفنا السيوفَ وصافناتِ

سواءً هُنَّ فينا والعيالُ

شعيراً زادها، وقليلِ قَتِّ

ومن ماءِ الحديدِ لها نَعالُ

وقال رجلٌ من بني تَمِيمٍ، وقد طلب منه الملكُ فَرَساً تسمى "سَكاب" فمَنعها منه:

أَبَيْتَ اللَعنَ إن "سَكاب" علقُ

نَفيسٌ لا تعارُ ولا تباغُ

تُجَاعُ لَهَا الْعِيَالُ وَلَا تُجَاعُ
إِذَا نُسِبَا يَضْمَهُمَا الْكُرَاعُ
وَمَنْعَكَهَا بِشَيْءٍ يُسْتَطَاعُ

مَفْدَاءٌ مَكْرَمَةٌ عَلَيْنَا
سَلِيلَةٌ سَابِقَيْنِ تَنَاجَلَاهَا
فَلَا تَطْمَعُ أَيْبَتَ اللَّعْنِ فِيهَا

وقال الأحنس بن شهاب التغلبي:

كَمَعَزِي الْحِجَازِ أَسْلَمَتْهَا الزَّرَائِبُ
وَهَنَّ مِنَ التَّعْدَاءِ قَبُّ شَوَازِبِ

تَرَى رَابِطَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بِيوتِنَا
فَيَغْبِقْنَ أَحْلَابًا وَيُصْبِحْنَ مِثْلَهَا

وقال جعفر بن أبي كلاب:

وَحَدْفَةٌ كَالشَّجَا تَحْتَ الْوَرِيدِ
فَأَلْحَفَهَا رِدَائِي فِي الْجَلِيدِ
لَهَا لِبْنُ الْخَلِيَّةِ وَالصَّعُودِ

أَرْبَعُونِي إِرَاعَتِكُمْ فَإِنِّي
أُسْوِيهَا بِنَفْسِي أَوْ بَجَزءٍ
أَمَرْتُ الرَّاعِيَيْنِ لِيُؤَثِّرَاهَا

وقال مالك بن نُؤَيْرَةَ:

فَلَمْ يَرْكَبُوا حَتَّى تَهِيحُ الْمَصَافِي
عَلَى حَيْنٍ لَا يَقْوَى عَلَى الْخَيْلِ عَالِفُ
وَأَسْقِيهِ مَحْضَ الشَّوْلِ وَالْحِيَّ هَاتِفُ

إِذَا ضَيَّعَ الْأَنْذَالَ فِي الْمَحَلِّ خَيْلَهُمْ
كَفَانِي دَوَائِي ذَا الْخُمَارِ وَصَنَعْتِي
أَعْلَلُّ أَهْلِي عَنْ قَلِيلِ مَتَاعِهِمْ

وقال أبو دُوَادٍ الْإِيَادِي:

وَإِذَا ثَابَ عِنْدِي الْإِكْثَارُ
نَعْنَعُ مَنِي الْأَعْنَةَ الْإِقْتَارُ
جَمَعْتُ فِي رِهَانِهَا الْأَدْسَارُ
وَارْتَحَلَ الْبِلَادَ وَالتَّسْيَارُ

عَلِقَ الْخَيْلَ حَبَّ قَلْبِي مُقْلًا
عَلَقْتُ هَمَّتِي بِهِنَّ فَمَا يَمُ
جِنَّةٌ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ رِهَانِ
وَأَنْجَرَادِي بِهِنَّ نَحْوِ عَدْوِي

وقال الأخطل، وتنسب لعبد الله بن عباس:

فَإِنِ الْعِزَّ فِيهَا وَالْجَمَالَ
ضَمَمْنَاهَا فَشَارَكَتِ الْعِيَالَ
وَنَلْبِسُهَا الْبِرَاقِعَ وَالْجِلَالَ

أَحْبُوا الْخَيْلَ وَاصْطَبَرُوا عَلَيْهَا
إِذَا مَا الْخَيْلِ ضَيَّعَهَا أَنْاسُ
نُقَاسِمُهَا الْمَعِيشَةَ كُلَّ يَوْمٍ

ومن الأبيات المفردة في ذلك ما يُذكر بحول الله: قال عمرو بن مالك:

دُونَ الْعِيَالِ لَهُ الْإِيثَارُ وَاللِّطْفُ

وَسَابِقُ كَعْقَابِ الدَّجْنِ أَجْعَلُهُ

وقال عامر بن الطفيل:

وَيَعْرِفُ لَهَا أَيَّامَهَا الْخَيْرُ يُعَقَّبُ

وَلِلْخَيْلِ أَيَّامٌ فَمَنْ يَصْطَبِرُ لَهَا

وقال الربيعي:

أَرَى الْخَيْلَ قَدْ ضَمَّتْ إِلَيْنَا الْأَقْصِيَا

وَقَلْتُ لِقَوْمِي أَكْرِمُوا الْخَيْلَ إِنِّي

وقال طرفة:

حِينَ لَا يُمَسِّكُهَا إِلَّا الصُّبْرُ

نُمَسِّكُ الْخَيْلَ عَلَى مَكْرُوهَا

وقال لبيد:

بَنَاتُ الْأَعُوجِيَّةِ، وَالسُّيُوفُ

مَعَاقِلُنَا الَّتِي نَأْوِي إِلَيْهَا

وقال بعضهم وهو نظم حديث للنبي صلى الله عليه وسلم

مُعَلَّقُ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ مَعْقُودٌ

الْخَيْرُ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا غَرَبَتْ

والشعر في هذا المعنى كثير، وأما ما نظم منه في أوصافها، ونعوتها، وتشبيهاتها، فلا يحصى كثرة للعرب وغيرهم.

وبتمام هذا الباب تم الكلام على الخيل. فلنتكلم فيما شرطناه من ذكر السلاح بحول الله.

الباب الخامس عشر

ذكر السيوف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تقلد سيفاً في سبيل الله ألبسه الله وشاح الكرامة".

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله ليباهي بالتقليد ملائكته. وهم يصلون عليه ما دام متقلداً سيفه".

وقال الأحنف بن قيس: لا تزال العرب عرباً ما لبست العمائم، وتقلدت السيوف، ولم تعدد الحلم دلاً. وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جملة أسياف، فمنها "ذو الفقار" الذي غنمه يوم بدر، وكان لمتبه بن الحجاج. ومنها "العضب" كان قد أعطاه لسعد بن عباد. ومنها "البتار". و"المخدم". و"الرسوب". و"الحنف". وكان له سيف قلعي أصابه من سلاح بني قينقاع. وكان له سيف آخر ورثه عن أبيه. فهذه

جملة من أسيافه عليه الصلاة والسلام فيما ذكر.

وروى أن عكاشة بن محصن قاتل بسيفه يوم بدر حتى انكسر في يده، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلاً من حطب، وقال له: قاتل بهذا يا عكاشة! فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد سيفاً في يده طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدية. فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى "العون". ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قتل في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

وروى أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرجون نخلة؛ فصار في يده سيفاً قائمته منه، وكان يسمى "العرجون". ولم يزل يتناول حتى بيع من "بغا" التركي. وكانت العرب تقول: "السيف ظل الموت، ولُعاب المنية". وكانت تكنيه "أبا الوجل". ومن أمثالهم فيه قولهم: "سَبَقَ السَّيْفُ العَدَلَ". وقولهم: "محا السيف ما قال ابنُ دارة أجمعاً". وقال بعضهم: السيف هو الصاحب الوليُّ، والصديق الوفيُّ، والرسول الوحيُّ. وقال أبو تمام الطائي:

في حده الحدُّ بين الجد واللعب

السيف أصدق أنباء من الكتب

متونهن جلاءُ الشكِّ والريبِ

بيض الصفائح لا سود الصحائف في

والسيف يُغنى عن غيره، ولا يُغنى عنه غيره في الأكثر، ويُعمل به عمل السلاح كله. قال جامعُ المحاريبُ: إذا التقى السيفُ السيفَ زال الخيار. وقال أبو الطيب:

وحتى كأن السيف للرمح شاتم

حقرت الردينيات حتى تركتها

وقيل إن العرب كانت تطعن به كالرمح، وتضرب به كالعمود، وتقطع به كالسكين، وتجعله سوطاً ومقرعة، وتتخذة جمالاً في الملا، وسراجاً في الظلمة، وأنساً في الوحدة، وجليساً في الخلاء، وضجيعاً للنائم، ورفيقاً للسائر. وتسميه عطافاً، ووشاحاً، وعصاً، ورداءً، وثوباً. وهو قاضي القتال، ويفصل الحكم بين الرجال. وبذلك كله وردت الأشعار، وصارت الأمثال والأخبار. قال عتبة بن عبد السلمي: أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً قصيراً، فقال: إن لم تستطع أن تضرب به فاطعن به طعنًا.

سأل أعرابي ابنين كانا له عن أي السيوف أحب إليهما. فقال أحدهما: "الصقيل الحسام، الباتر المخذام، الماضي السطام، المرهف الصمصام، الذي إذا هزرته لم يكب، وإذا ضربت به لم ينب". فقال للآخر: فما

تقول أنت؟ فقال: "نعم السيف نعت! وغيره أحبُّ إليَّ منه". قال: وما هو؟ قال: "الحسام القاطع، والرونق اللامع، الظمآن الجائع! الذي إذا هزته هتكت، وإذا ضربت به فتك!" فقال لهما: أخبراني عن أبغض السيوف إليكما؟ فقال أحدهما: "الفطار الكهام، النابي عن اللحم والعظام، الذي إذا ضرب به لم يقطع، وإذا دُبح به لم ينجع". فقال للآخر: فما تقول أنت؟ قال: بئس السيف نعت! وغيره أبغض إليَّ منه. قال: وما هو؟ قال: "الطيبُ الددان، المعضد المهان، الذي أن ضرب لم يسيلِ الدَّم، وإن أنت أكرهته". السَّطام: هو حد السيف وغيره، والفطار: هو الذي لا يقطع. ويروى أن عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال يوماً: مَنْ أجود العرب؟ قيل له: حاتم الطائي. قال: فمن شاعرها؟ قيل له: امرؤ القيس. قال: فأبي سيفها أمضى؟ "قيل": صمصامة عمرو بن معد يكرب الزبيدي. قال: فبعث عُمَرَ إلى عمرو أن يبعث إليه سيفه المعروف بالصمصامة، فبعث به إليه، لما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه؛ فكتب إليه في ذلك، فرد إليه: إني إنما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف، ولم أبعث إليه بالساعد الذي يضرب به.

قال الهيثم بن عدي: لما صار سيف عمرو بن معد يكرب الذي يقال له الصمصامة إلى موسى الهادي، دعا به، فوضع بين يديه، فجرد، ثم قال لحاجبه: إيذن للشعراء، فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه، فبدأهم أنس فقال:

حاز صمصامة الزبيدي من دو	ن جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا	خير ما أعمدت عليه الجفون
أخضر المتن بين حديه نور	من فرند تمتد فيه العيون
أوقدت فوقه الصواعق ناراً	ثم شابت به الزعاف المنون
وإذا ما سللته بهر الشم	س ضياء فلم تكد تستبين
وكان الفرند والرونق الجا	ري في صفحته ماء معين
وكان المنون نيطت إليه	فهو من كل جانبيه منون
نعم مخراق ذي الحفيظة في الهيج	اء يسطو به ونعم القرين
ما ييالي من انتضاه لضرب	أشمال سطت به أم يمين

قال: فأمر له ببدرة، وقيل: أعطاه السيف، ثم اشتراه بعد بخرمسين ألف درهم. ويروى أن عروة بن الزبير سأل عبد الملك بن مروان أن يرده عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير، فأخرجه

إليه في جملة أسيافٍ مُنتَصَاةٍ، فأحذه عُروة من بينها. فقال له عبد الملك: بِمَ عرَفْتَهُ بين هذه الأسياف؟
قال: بقول النابغة:

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم
بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ
تُورُثن من أزمان يومِ حليمةِ
إلى اليومِ قد جُرِّين كلَّ التجاربِ

وجَّه ملكُ الرومِ إلى هَارُونَ الرَّشِيدِ بثلاثةِ أسيافٍ مع هدايا كبيرة، وعلى كل سيفٍ منها مكتوب: فكان الأول: أيها المقاتل! احمل تَعْنَمَ، ولا تفكَّرْ في العاقبةِ فَتَهْزَمَ. وعلى الثاني: إذا لم تَصَلْ ضربةُ سيفك، فصلِّها بإلقاءِ خوفك. وعلى الثالث: التأيي فيما يُخاف عليه الفوتُ أفضل من العجلةِ إلى إدراكِ الأمل.

فصل

وللسيف في لغة العرب أسماء كثيرة، وأوصاف متعددة. فمن أسمائه: "الجُنْثِي" قال أبو عبيدة: الجُنْثِيُّ من أجود الحديد. وقيل: الجُنْثِيُّ: القَيْنُ الذي كان يعملها فنسبت إليه. والذي طُبِعَ بأرض الهند نسبت إليه، فقيل: "هندي". و"مهند" و"هندواني". وكذلك "اليَمَائِي" منسوب إلى اليَمَنِ. و"القَلْعِي" نسبة إلى القلعة، وقيل إنه الأبيض، فيكون اسم صفة.
و"القُسوسِي" نسب إلى قسوس: جبل فيه معدن حديد. و"المشْرِفِي" نُسب إلى المَشَارِفِ، وهي قرى من أرض العرب تقرب من الريف. و"السُّرَيْجِي" نُسب إلى سُرَيْجٍ: قَيْنٌ كان يعملها.
ومن أسماء صفاته: إذا كان عريضاً فهو "صفيحة". وإن كان لطيفاً مهذباً فهو "قضيبي". وإن كان صقيلاً فهو "خشيب" وقيل: إنه الذي لم يصقل، وقيل: إنه الذي لم يُحْكَم عمله مع صلابة فيه ومُضِيٍّ. وإن كان رقيقاً فهو "مهو". وإن كان فيه حُرُوز مطمئنة عن منته فهو "مُشَطَّب" و"مُفَقَّر". وحُرُوزُهُ: شَطْبُهُ وَفِقَرُهُ. وبذلك سمي سيف النبي صلى الله عليه وسلم، وسيف علي رضي الله عنه.
وقيل إن "ذا الفَقَّار" ما كان له حد من جانب، وجانبه الآخر حاف لا يقطع. وبذلك عُرف سيف عَمْرُو بن مَعْدٍ يكر، وهو الصَّمصامة. فإن كان شفرته حديداً مذكراً؛ ومنته أنيث فهو "مذكراً"، وهذه صفة الإفرنجي، والعرب تزعم أنه من عمل الجن، وهو أبقى على الضرب به في البدء، فأَن الهندي قد ينكسر في البدء، وهو للحدِّ أجود.

فإذا كان له بريق فهو "إبريق". فإن كان لصلابته وصفائه وحسن صقله لا يُعَلِّقُ به دَمُ الضريبة فهو "إصْلِيَّتٌ" فإذا طال عليه الدهر فتكسَّر حده فهو "قضيبي" فإن كان قليلاً عن القطع فهو "كَهَام"، و"دَدَانٌ". فإن كان في منته أثرٌ فهو "مأثور". فإن كان للامتهان في قطع الشجر ونحوها فهو "مِعْضَد". وإن

كان للحم والعظام فهو "مِعْضَاد".
ومن أسماء صفات حده: إذا كان قِطَاعًا فهو "مِقْصَل"، و"مِخْضَل" و"مِخْذَم"، و"جُرَاز"، و"باتر"، و
"عَضْب"، و"حُسام"، و"قَاضِب"، و"هَذَا". وكل هذه الأسماء مأخوذة من سرعة القطع. فإذا كان
ماضياً في العظام فهو "مُصَمِّم". فإذا كان صارماً لا يشبه شيء فهو "صَمِّصَام".

فصل في أسماء أجزائه

"جوهْرُه" و"أثرُه": فرنّده الذي يظهر كالماء فيه يخيل للناظر أنه يسيل به إذا هُزَّ. "ذُبَابُه": طرف نصله.
"ظُبْبَاهُ" فوق الذباب، "غِرَارُه": حدّاه، وهما شفرتاه. "عموده": وسطه. "متنه": جملة منصله "رئاسه" ما
عدا نصله. "قابضه": مقبض كف الضارب به، وهو قائمه. "السُّنْبَلَة": ما دخل من النصل في الرئاس وهو
"السِّنْحُ" أيضاً. و"السِّيْلَانُ": يكتنفان السِّنْح. "القببعة": رأس رئاسه. "الشَّعِيرَة": ما يجبسها.
وفي أسماء أجزاء غمده: هو "جَفْنُه"، و"حِلْتَه"، و"حِلْلَه". وقيل: إن الخِلْلَ جلود في باطن الغمد. و
"حمائله": ما يعلّق به، واحدها "حمالة" وهي أيضاً "نِجَادُه". و"كَلْبُه": حلقة تكون فيها سيوره. قال
الشاعر على طريقة الإلغاز في ذلك:

رُبَّ سَيْرٍ رَأَيْتُ فِي فَمِ كَلْبٍ جُعِلَ الْكَلْبُ لِلْأَمِيرِ جَمَالاً

و"السِّيَة": أطراف سيور الحمائل. و"ساربه": وقاية لمدخل النصل في الغمد من فضة أو حديد أو غير
ذلك. و"ثعلته": وقاية لذبابه وظببته. و"القراب": الجراب، غلاف كالغمد يُجعل فيه السيف بغمده.
ومما جاء من الشعر في السيف: قال طرفة:

وَأَلَيْتُ لَا يَنْفَكُ كَشْحِي بَطَانَةً لِعَضْبٍ صَقِيلِ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنْدٍ

أَخِي ثَقَّةً لَا يَنْتَنِي عَنْ ضَرْبِيَّةِ إِذَا قِيلَ: مَهْلًا قَالَ حَاجِزُهُ: قَدْ!

حُسام إذا ما قمت منتصراً به كَفَى الْعَوْدَ مِنْهُ الْبَدءُ، لَيْسَ بِمِعْضَدٍ

إِذَا ابْتَدَرَ الْقَوْمُ السِّلَاحَ وَجَدْتَنِي مَنِعاً إِذَا ابْتَلَّتْ بِقَائِمَةِ يَدِي

وقال ابن المعتز:

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ الْمَنَايَا كَوَامِنٌ فَمَا يُنْتَضَى إِلَّا لِسْفِكَ دِمَاءِ

تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفَرِنْدَ كَأَنَّهُ بَقِيَّةُ غَيْمٍ رَقَّ دُونَ سَمَاءِ

وقال العَلَوِي:

كَأَنَّ عَلَى إِفْرَنْدِهِ مَوْجَ لَجَّةٍ
كَأَنَّ عَيْونَ الذَّرِّ كُسْرُنَ حَوْلِهِ
حُسَامٌ غَدَاةُ الرَّوْعِ حَتَّى كَأَنَّهُ

وقال ابن عبد ربّه:

تَقَاصِرُ فِي حَافَاتِهِ وَتَطُولُ
عَيْونُ جَرَادٍ بَيْنَهُنَّ نُحُولُ
مَنْ اللهُ فِي قَبْضِ النّفُوسِ رَسولُ

وَذِي شُطْبٍ تَقْضِي المَنَايَا بِحُكْمِهِ
فِرْنَدٌ إِذَا مَا اعْتَنَّى لِلْعَيْنِ رَاكِدٌ
يَسْلُلُ أرواحَ الكُماةِ اسْتِلالَهُ
إِذَا مَا التَقَّتْ أَمْثالُهُ فِي وَقِيعَةٍ

وقال ابن الرقاق:

وَلَيْسَ لَمَّا تَقْضِي المَنْيَةَ دافعُ
وَبَرَقٌ إِذَا مَا اهْتَزَّ بِالْكَفِّ لَامِعُ
وَيَرْتاعُ مِنْهُ المَوْتُ، وَالمَوْتُ رَائِعُ
هناكَ ظَنُّ النَفْسِ بِالنَفْسِ واقِعُ

ذُو ظَمَأٍ يَشْرَبُ مَاءَ الطُّلْيِ
تَخالَهُ مَنْصَلَتاً بَارِقاً
أُرْسِلَ فِي الحَرْبِ شُواظاً لَهُ
تُساجِلُ المَاءَ لَهُ صَفْحَةٌ
كُلُّ مَنْ إِفْرَنْدُهُ جَوْهراً
يَفْتَرُّ عَنْ صَفْحَتِهِ غَمْدُهُ

وقال غيره:

وَلَيْسَ يُرْوِيهِ الَّذِي يَشْرَبُ
وَكَوكِباً أَوْ قَبْساً يَلْهَبُ
يَصَلِّي لظَاهِ البَطْلِ المَحْرَبِ
وَيوقِدُ النّارَ لَهُ مَضْرَبِ
يَنْهَبُ أرواحاً وَلا يُنْهَبُ
كَمَا انْجَلَى عَنْ مائِهِ الطَّحْلِبُ

وَمَهْنَدٌ جالِ الفِرْنَدُ بِمَتْنِهِ
فِيكَادُ يُغْرِقُ حَامِلِيهِ بِمائِهِ

وقال أبو العلاء المعري:

فَتوقَدتْ نارُ الرّدى بِغِرارِهِ
وَيَكَادُ يُحْرِقُ مُنْتَضِيهِ بِنارِهِ

وَلَوْ لا ما بِسيفِكَ مِنْ نُحُولِ
سَليلُ النّارِ دَقَّ وَرَقَّ حَتّى
مُحَلّى البُرْدِ تَحسِبُهُ تَرْدَى
مَقِيمُ النّصْلِ فِي طَرَفِي نَقِيضِ
تَبَيَّنَ فَوْقَهُ ضَحْضاحُ ماءِ

لَقَلنا أَظْهَرَ الكَمَدِ انْتِحالاً
كَأَنَّ أباهُ أورثَهُ السُّلالاً
نَجومَ اللَّيْلِ وانْتعلَ الهِلالاً
يَكُونُ تَبايُنٌ مِنْهُ اسْتِكالاً
وَتُبْصَرُ فِيهِ لِلنّارِ اسْتِعالاً

إِذَا بَصُرَ الْأَمِيرَ وَقَدْ نَضَاهُ
بِأَعْلَى الْجَوْظِ عَلَيْهِ آلا
وَدَبَّتْ فَوْقَهُ حُمْرُ الْمَنَائِي
وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مُسِخَتْ نَمَالًا
يُذِيبُ الرَّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ
فَلَوْلَا الْغَمْدُ يُمَسِّكُهُ لَسَالَا
وَمَنْ يَكُ ذَا خَلِيلٍ غَيْرِ سَيْفٍ
يَصَادِفُ فِي مَوَدَّتِهِ اخْتِلَالَا
وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ التُّطَيْلِيُّ فِي سَيْوفٍ:

هَيْمٌ وَرَادٌّ لَوْ أَنَّ الْمَاءَ صَافِحَهَا
لَزَلَّ أَوْ زَالَ عَنْهَا وَهُوَ ظَمَانٌ
يَكَادُ يَخْلُقُ مَهْرَاقَ الدَّمَاءِ بِهَا
فَلَا تَقِلُّ هِيَ أَنْصَابٌ وَأَوْثَانٌ
مَوْتِي! فَإِنْ خَلَعْتَ أَحْفَانَهَا عَلِمْتَ
أَنْ الدَّرُوعَ عَلَى الْبَطَالِ أَكْفَانَ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ السَّيْفِ قَوْلَ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ:

وَنَبَّهَنْ مِثْلَ السَّيْفِ لَوْ لَمْ تَسْتَلَّهُ
يَدَانِ لَسَلَّتَهُ ظُبَاهُ مِنَ الْغَمْدِ
وَمَنْ الْإِفْرَاطُ فِي وَصْفِهِ قَوْلَ النَّابِغَةِ:

يَقْدُ السَّلُوقِيَّ الْمَضَاعَفَ نَسْجَهُ
وَيُوقِدُ بِالصَّفَّاحِ نَارَ الْحُبَّابِ
وَأَقْوَالُ الشُّعْرَاءِ فِي السَّيْفِ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَفِيهَا ذِكْرَانَهُ مِنْ ذَلِكَ كِفَايَةً.

فصل

وَمِنْ شَرَطِ السَّيْفِ أَنْ لَا يُسَلَّ إِلَّا عِنْدَ الضَّرْبِ بِهِ، وَأَنْ سُئِلَ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْرَثَ الْجُبْنَ.
وَلَيْسَ فِي السَّلَاحِ مَا يَجِبُ أَنْ يُحْذَرُ عِنْدَ الْعَمَلِ بِهِ كَالسَّيْفِ. وَقَدْ وَجَدَ كَثِيرٌ مِنْ عَمَلٍ بِهِ بَغَيْرِ حَذَرٍ وَلَا
دُرْبَةٍ أَصَابَ أُذُنَ فَرَسِهِ أَوْ عَضُدَهُ، وَرَبَّمَا أَصَابَ أُذُنَ نَفْسِهِ أَوْ رِجْلَهُ فَقَطَعَهَا، أَوْ أَثَّرَ فِيهَا.
فَإِذَا أَرَادَ الْفَارَسُ الْعَمَلَ بِهِ طَرَفَ رِجْلَهُ فِي رِكَابِهِ حَتَّى لَا يَظْهَرُ مِنْهَا شَيْءٌ عَنِ مَقَدِّمِ الرِّكَابِ، بِحَسَبِ مَا
يُمْكِنُ اعْتِمَادُهُ عَلَيْهِ، وَيَضْرِبُ بِالسَّيْفِ نَفْحًا وَشُرْرًا؛ إِلَّا مَا كَانَ قِبَالَةَ وَجْهِهِ فَلِيَكُنْ حَيْثُئِذْ أَشَدَّ حَذَرًا عَلَى
نَفْسِهِ وَفَرَسِهِ. وَلِيَعْتَلَّ يَدُهُ عِنْدَ ضَرْبِهِ مَا أَمْكَنَهُ إِلَى خَارِجٍ، فَبِذَلِكَ يَكُونُ آمِنًا. وَلِيَطْرَحَ مَقَابِلَهُ عَنِ يَمِينِهِ أَبَدًا
فِي كُلِّ حَالٍ، وَلَا سِوَا الرَّمَاحِ.

وَمَنْ أَرَادَ التَّعَلُّمَ بِهِ وَالتَّمَرُّنَ فِي الضَّرْبِ فَلِيَعْمَدَ إِلَى قَصْبَةِ رِطْبَةٍ أَوْ قَضِيبِ رَطْبٍ، وَيَثْبِتَ أَصْلَهُ فِي الْأَرْضِ،
وَيَتَوَثَّقَ مِنْهُ؛ ثُمَّ يَتْبَاعِدُ عَنْهُ، وَيَجْعَلُهُ عَلَى يَمِينِهِ، وَيُجْرِي فَرَسَهُ مَلءَ فُرُوجِهِ؛ فَإِذَا دَنَا مِنْهُ سَلَّ سَيْفَهُ بِسُرْعَةٍ
وَحَذَرٍ وَخَفَةِ، وَنَفَخَ بِهِ مَا يَجَازِي رَأْسَهُ مِنْ ذَلِكَ الْقَضِيبِ أَوْ الْقَصْبَةِ، أَوْ يَضْرِبُ ذَلِكَ شُرْرًا بِلِبَاقَةٍ وَخَفَةٍ.
يَفْعَلُ ذَلِكَ مَرَارًا يَقْصُ فِي كُلِّ طَلْقٍ مِنْهُ مَا أَمْكَنَهُ؛ إِلَى أَنْ يَبْقَى قَدْرُ ذِرَاعٍ. وَيُدْمِنُ الْعَمَلَ حَتَّى يَصِيرَ لَهُ

عادة وينف عليه العمل به إن شاء الله، والشَّرْر: هو الضرب به عن يمين وشمال، والتَّفْح: إلى خارج اليمين.

الباب السادس عشر

ذكر الرماح

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالقنا والقسي، فيها نُصِرَ نُبِيُّكُمْ وُفِّحَ لَكُمْ فِي الْبِلَادِ". والقنا: هي الرماح.

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أرواح: رماح يسمى "المتني"، والثلاثة أصابها من سلاح بني قَيْنِقَاع.

وكانت العرب تقول: "الرمح رِشَاءُ الْمَنِيَّةِ. وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ فِيهِ: "ذَكَرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا". وسأل أعرابي ابنين كانا له عن أي الرماح أحبُّ إليهما؟ فقال أحدهما: المارن المثقف، المقوم المخطف، الذي إذا هزرتَه لم يتعطف. وإن طعنتَ به لم يتقصّف، فقال للآخر: فما تقول أنت؟ قال: نعم الرمح وصَفَ! وغيره أحبُّ إليّ منه. فقال: وما هو؟ قال: الذابل العسّال، المقوم النَّسَال، الماضي إذا هزرتَه، النافذ إذا همزته.

قال: فأخبراني عن أبغض الرماح إليكما؟ فقال أحدهما: الأعصل عند الطّعان، المثلم عند السّنان، الذي إذا هزرتَه انعطف، وإذا ضربت به انقصف.

فقال للآخر: فما تقول أنت؟ قال: بنس الرمح وَصَفَ! وغيره أبغضُ إليّ منه؛ فقال: وما هو؟ فقال: الضعيف المهزّ، اليبس الكزّ، الذي إذا أكرهته انحطم، وإذا طعنت به انقصم. الأَعْصَلُ: هو الملتوي.

قال بعضهم: الرماح هي العوالي، والسُّمَرُ الحوالي، وقرون الجياد، وأرشية قلوب الأكباد، بما تستماح المُهَج، وتستباح الفروج والفرَج. خلقت كالأرقام، لثغر الحلاقم، فسليمها معذور، وكليمتها مذعور ومن قولهم في ذلك:

وكم عاتقٍ قد أنكحتنا رماحنًا ومن ثيبٍ حلّت لنا لم تطلق

فصل من أسمائها على الترتيب:

"العنزة"، وهي عصا فوق الهراوة فيها "زُجٌ"، وهي من السلاح لإمكان الدفع بها، والزُج فيها يشبه السنان وإن لم يكنه. ثم "النَّيْزِك"، وهو أطول من العنزة وفيه سنان دقيق، وجمعه نيازك، ومثله "المطرِد". و"المزراق" كذلك لأنه يُرمى به للطافة عصاه، وقد يكون سنانه مربعاً لطيفاً لخرق الدروع وشبه ذلك. فإذا زاد طولها وفيها سنان عريض فهي "حربة" و"آلة" جمعها حراب، وإلأل. و"الخُرْص" من قصار الرماح وجمعه خُرْصان. فإن كان أصمَّ فهو "مدعس" يُدعس به، وجمعه مداعس. وأطولها الرُمح، والقنّاة

فصل في أسماء صفاتها ونسبها

إذا كانت العصا قد نبتت مستوية ولم تحتج إلى تثقيف، وهو التقويم، فهي "صعدة". وإن احتاجت إلى تثقيف فهو "المتقف". وإن كان الرمح مضطرباً فهو "عاسل". فإن كان شديد الاضطراب فهو "عسأل" و"عرّاص" فإذا كان ليناً فهو "لذن" و"ذابل" و"مارن". فإن كان شديداً فهو "سمهري". فإن كان صلباً لا ينثني فهو "صدق". فإن كان مثملاً فهو "تلب". و"الخطي" من قصب فارس، منسوب إلى "الخط": من أرض فارس تنبت بها. و"اليزني" منسوب إلى ذي يزن: من ملوك اليمن. و"الرديني" منسوب إلى ردينة: امرأة كانت تعملها، وقيل: تباع عندها. و"الأسمر" هو "الأظمي" مأخوذ من الظمأ، وهو العطش. و"اللهدم" النافذ السنان، والعريض السنان هو "المنجل"، من النجل، وهو الاتساع. وطعنة نحلاء: أي واسعة. و"الوشيح" منبت الرماح، وقيل: هي الرماح أنفسها و"المران" الرماح، واحدها "مرانة" وقيل: المران منبتها.

فصل في تفصيل أجزاء الرمح

"سنانه"، ونصله، و"قرونه": شفرته. و"طرفها" سائبة. و"طبتاه" و"شفرته": حداه، وكذلك "غراره". و"غيره" الناتئ في وسطه. و"الجبة": مدخل الثعلب في النصل. و"الثعلب" ما يدخل من العصا في الجبة. و"المحور": مسماره و"زافرتة": أعلاه. و"صدره"، و"عاليته"، و"عامله" وذلك إلى قدر الثلث منه. ثم "عائده"، و"عموده": وسطه. ثم "ساقه"، و"سافلته"، و"عقبه"، و"كعبه". ثم "زجه" و"مركزه" وهو الحديدية التي في أسفله إن كانت حادة، وإلا فهي "حلقته".

و "أنابيب" الرماح الهندية وكعوبها: ما بين عقدها، وهي حُرُوزُها وفصولها. "و "قَصْدُ" الرماح: كسُورها وقطعها. واحدها "قَصْدَة".

فصل في صفة الركوب بالرمح

وهو أن يأخذ الرجل رمحه بيمينه، وعنائه بشماله مع قَرَبوس سرجه، ويضع زُجَّ رمحه بالأرض، وليبعد منها قليلاً؛ ويضع صدر قدمه اليسرى في ركابه الأيسر، ثم يعتمد على الرمح، ويشيل نفسه على فرسه، وينهض وهو يدير الرمح على كَفَلِ الفرس إلى الجانب الأيمن حتى يستقلَّ بسرعة؛ ثم يضع الرمح في يساره مع العنان، ويسوي ثيابه وآلته بيمينه، ثم يصرف الرمح إلى يمينه. وإن كان في صحراء ولم يقرب منه إنسان يخاف أن يناله الرمح أو شجرة ينشب فيها، فليأخذ أن أحبَّ وسط الرمح بيده اليسرى مع العنان والعُرْفِ أن رأى ذلك، أو القَرَبوس إن كان أخذ العرف بيساره أو لم يكن عُرْفٌ ويأخذ المؤخرة بيمينه، أو القَرَبوس إن كان أخذ العرف بيساره، ويركب. ولا ينبغي أن يتعرض الرجل لأخذ رمحه من الأرض وهو راكب، فرمما وطئه الفرس فكسره أو ضربه فأبعده عنه، بل يتزل ويأخذ رمحه ويركب كما وصفت. وأما التزول بالرمح فهو أن يأخذه بيساره، ويضع زُجَّه بالأرض عند يد فرسه اليسرى، ويأخذ القربوس بيده اليمنى ثم يتزل، وحين يصير إلى الأرض يأخذ رمحه بيمينه بسرعة، لئلا يدور عليه الفرس فيحطمه أو يصيب الأرض بسنانه، أو يعقر أحداً. فليلتفت لهذا كله.

فصل

ومن أراد تعليم العمل بالرمح والدربة في ذلك فليضع دريئة، وهي عُود أو شبهه قائم بالأرض قدر ارتفاع الفارس، ويتوثق من أسفله، ويشد في أعلاه حلقة أو حبلاً مَلُويّاً شبه الحلقة، ثم يتباعد منه، ويُجري فرسه ملء فروجه، فإذا قَرُب من تلك الدرّيئة تَأَبَّطَ رمحه، وأخرج منه عن إبطه بقدر ما يخفُّ عليه حَمَلُهُ وتحمّله قُوَّتُهُ، ثم يأخذ بسنانه تلك المعلقة، ثم يلوي رمحه بسرعة ليخلص السنان من الحلقة. وربما احتاج إلى أن يقلب رمحه إلى خلفه، أو إلى أن ينفذ الحلقة ويأخذ رمحه لِقْفاً من خلفها. وربما كانت الحلقة تدور حيث أدارها، ويداوم العمل على ذلك كيفما أمكنه، حتى يخف عليه العمل. فلا يخطئ الإصابة إن شاء الله.

وأما صفة إمساكه عند اللقاء والطعن به والتخلص منه بعد ذلك، فذلك يحتاج إلى بسطٍ وتطويل ومشاهدة بالعيان أيضاً، لكثرة أحواله، واختلاف وجوهه وطرقه.

وينبغي للفارس أن يخفف رُمحَه ما قَدَرَ، فإنه على الخفيف أقوى، وله أضبط، وبه أحكم، وعلى قَدْرِ قَوَّته واحتماله. وكانت رماح الفرسان من عشرة أذرع، وأقلُّ من ذلك جائز.

وليكن بين الرقيق والغليظ قدر ما لا تعجزه عنه الكف ولا تلتقي عليه الأنامل. فالنوسط هو الحمود، وبحسب قدر اليد والتمكن من ذلك. ومما جاء من الشعر في الرمح قولُ المعرِّي:

وذي ظمأ وليس به حياة
توقن طول حامله فطالاً
توهم كل سابيغة غديراً
فرنق يطلنب الحلق الذخالاً
ملأت به صدوراً من أناس
فلاقت عن ضغائنها اشتغالاً

ومن أبدع ما قيل فيه قولُ شيخنا القاضي الشريف أبي القاسم الحسيني رحمه الله:

وأصمَّ ممطولِ الكُعبِ إذا اقتضى
مُهَجَ الكِماءِ فدَيْئُهُ لا يُمَطَّلُ
متوقِّدٌ حتى أقول: أذابلُ
بيديَّ منه أم ذبالُ مُشعلُ
لولا التهاب النَّصلِ أينع عودُه
مما يُعلُّ من الدِّماءِ وينهلُ
فاعجب له إن النجيع بطرفه
رَمَدٌ ولا يخفى عليه مَقْتَلُ

والشعرُ فيه كثير.

الباب السابع عشر

ذكر القسي والنبل

وقد فضَّلَ اللهُ تعالى القوسَ على جميع الأسلحة، وجعل التشاغلُ بأمورها من التجاراتِ المرُجحة، والآراء المنجحة.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "ما مدَّ الناسُ أيديهم إلى شيءٍ من السِّلاحِ إلا وللقوسِ عليه فضيلةٌ" وقال صلى الله عليه وسلم: "من اتخذَ في بيته قوساً نفى اللهُ عنه الفقرَ ما دامت في بيته". وكان صلى الله عليه وسلم يخطب عند الحرب وهو متكئٌ على قوسه. وقال صلى الله عليه وسلم: "مُنْتَهَى المؤمنِ القوسُ والنَّبلُ".

فصل

والتريغيب في الرماية كثير. عم عُقْبَةَ بن عامر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ". وكان صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يكون الرجل رامياً فارساً ساجحاً. وقال صلى الله عليه وسلم: "علموا أبناءكم الرمي فإنه نكاية للعدو". وقال صلى الله عليه وسلم لقوم من الأنصار رأهم يرمون: "ارموا يا بني إسماعيل! فقد كان أبوكم رامياً". وقال صلى الله عليه وسلم: "من رمى بسهم في سبيل الله مُخْطِئاً أو مَصِيباً كان له من الأجر كرقبة أعتقها من وُلْدِ إسماعيل". وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليدخلُ بالسهم الواحدِ ثلاثةَ نَقَرٍ الجَنَّةِ: صَانِعُهُ يَحْتَسِبُ فِي صُنْعِهِ الخَيْرَ، والرَّامِيَّ لَهُ، والمُؤَدِّ بِهِ". وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدى أحداً غير سَعْدِ بن أبي وقَّاص، فإنه قال له يوم أُحُد: "فداك أبي وأمي". وفي ذلك اليوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد ولأبي طلحةَ وقتادةَ وغيرهم من الرُّماة: "اثبتوا! فلن يزال النصر معنا ما ثبتُّم". وكان عدد الرماة في ذلك اليوم خمسة عشر رامياً. والأحاديث في هذا المعنى أكثر من أن تحصى. والله دَرُّ الشاعر إذ يقول:

ويحصلُ من عزها في نهاية

فمن شاء يسلكُ سبُلَ العناية

فلا يتعدَّ طريقَ الرماية

ويحظى بكل ثواب جزيل

ونصراً لدين نبي الهداية

فإن بها في الدُّنْيَى رِفْعَةٌ

فصل

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوس من نَبَع تسمى "الصَّفراء"، وقوس من شوحط تسمى "الرَّوْحاء" وقوس أخرى من شوحط تسمى "البيضاء"، وقوس أخرى تسمى "الكُتوم". والقسي جنسان: قوس اليد، وهي العربية، وتنقسم على أنواع، وقوس للرجل، وهي الإفرنجية وتنقسم كذلك "إلى" أنواع. فالقوس العربية أنسب للفارس، لأنها أسرع وأقلُّ مَثُونَةً؛ والقوس الإفرنجية أنسب للراجل، لأنها أبلغ وأكثرُ مَعُونَةً، ولا سِيِّما في الحصار والمراكب البحرية وشبه ذلك، وهي خاصَّةٌ بأهل الأندلس، بها يصيدون، وعنهما يرمون، وفيها يتنافسون، وعليها يعتمدون فُرساناً ورجالاً، وهي التي نَصِفُ هنا إن شاء الله تعالى.

فصل

وهذه القوس - أعني الإفريقية - تتألف من عمود وقضيب وجوزة ومفتاح. وكان العمود قبلُ يسمى الجحري، وإنما سُمي بذلك الجحري السهام عليه، وكان مفتاحه طالعاً من جهة الجوزة يرمي سهاماً عدّة، مشتملة. ثم استخرج هذا العود في زمن التمرود، وسُمي عموداً لأنه عمد به وفيه ستة أنقاب: ثقبُ المشرب، وثقبُ الحلق وهو للحل والربط، والحلُّ الربط لسبعة أشياء: الحك، والغسل، والنشر، واللية، والتزريق، والرّفوع، والتزول. والثقبُ الثالث لسته، وهو ثقب الأمانة والوديعة. والثقب الرابع للجوزة، وهو ثقب القفل والشرب والرياسة. والثقب الخامس للمسمار، وهو ثقب التكليف والحماله والعدّة. والثقب السادس للمفتاح، وهو ثقب الحركة والهيئة والأسرار. فمنه تفتح الصنعة، وهو رُوحها ومعناها. وسمي القضيب قضيباً لأنه ينكح في خمسة مواضع: موضع في وسطه، وأربعة مواضع في أطرافه، وله وتران: حربي، وعوير.

وسمي الجوزة جوزة لجواز المتحرك والناطق والصامت عليها. واسم الجوزة: القلب، لأن رأس المفتاح يتقلب بها. وفيه سر وفي الجوزة آخر، فإذا اجتمعا ظهرت الحكمة. وسمي المفتاح مفتاحاً لأنه يفتح أسرار جميع ما ذكرناه.

فصل

أسرار القوس في سبعة أشياء: حيوان يعقل وهو الرامي، ومنفصل عن حيوان لا يعقل وهو الريش والشمع والجوزة والقضيب والسهم، فتصول هذه الأربعة عند الرمي ولا يصول أحدها وحده. وقيل: إن القوس مأخوذ من الدائرة، وهي كمال الصنعة؛ وذلك أن أهل الهندسة لما نظروا الشمس والقمر والنجوم استخرجوها منها. وتتكلم القوس بلسان الحال، وتتنفس كتنفس الصبح، وتسمى ملكاً لأنها تملك، وإذا وضعها الرامي خاف منها كخيفة الملك إذا دخل عليه، ويخافه كذلك غيره من أجلها.

فصل

والقسى تنتخب من عشرة عيدان: خمسة برية، وخمسة بستانية. فالبرية: الطخش، وهو النبع بلغة العرب، والزنبوج، والدردال، والكتم، والشير.

والبستانية: النارجُ، والتَّسْمَان، والتُّفَّاح، والرُّمَّان، والسَّفَرَجَل.
وفي ذلك يقول بعضهم:

عَجَبًا مِنْ الْقَوْسِ الْكَرِيمَةِ إِنَّهَا لَمْ تَرَ عَ حَقَّ حَمَائِمِ الْأَغْصَانِ
عَادَتْ لَهَا حَتْفًا وَكَانَتْ مَأْلَفًا وَكَذَلِكَ حُكْمُ تَصَرُّفِ الْأَزْمَانِ

وقال ابن الرِّقَاق:

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِنَبِيعَةِ زَوْرَاءِ مَشْغُوفَةٌ بِمَقَاتِلِ الْأَعْدَاءِ
أَلْفَتَ حَمَامَ الْأَيْكِ وَهِيَ نَضِيرَةٌ وَالْيَوْمَ تَأَلَّفَهَا بِكَسْرِ الْحَاءِ

ولهذه العيدان التي تنتخب منها القوس معادن في الجوف والقبلة والشرق والغرب؛ ولقطعها فصلان: تُقطع في فصل سموم الشتاء وهو المختار، وشبَّهت بالطفل الذي تتم رضاعته، وتُقطع في فصل سموم الصيف على وجه الاضطرار. والأصلي هو أحسن القُضبان، وما يُقطع في فصل فهو في حقها نُقصان.

فصل

وأعلم أن القوس تُربط على وجهين: بالنظر، وهو أصل، وبالقياس وهو فرع. فأما أهل المعرفة في ذلك فهم ثلاثة نفر: العريف، والمعلم، والرَّامي. ولكل واحد منهم درجة زائدة على صاحبه. فيزيد المعلم على الرامي رطوبة اليدين، ويزيد العريف على المعلم نُورَ القلب، فيربطون القوس بالنظر، فأن غمَّ عليهم قاسوا بالضابط.

وصفة القياس به: أن يُفْتَح الضابط، وتُفْتَح طَرَفَه في الحرف الأسفل من ثقب الحلقة، ثم تضع الطرف الآخر في حرف آخر الصدر من القضيب، ثم اطلب به الجهة الأخرى، فأن تساوى القياس فهو المراد، وأن زاد طَرَف الضابط على حرف الصدر فهو مخفوض فارفعه، وأن نقص فهو مرفوع فاحفضه، حتى يستقيم لك القياس.

ولا بد لربطها من لزازين اثنين قدَّأ واحداً من عُود طيبٍ فتِي يشد بهما القضيب بعد ربطه بصمته من جلد أبلٍ ذَكَر، مقطوعة على طول الجلد، مع حلقة حديد توضع فيها الرجل اليسرى عند الجرِّ، وتسمى لذلك ركاباً.

فإذا نزل القضيب مطبوعاً في الحلقة فَحوَّل يدك به طالعاً حتى يكون في أول الحكِّ وآخر الغسل، وابدأ بربطه وبضرب اللزازين: الميامن قبل الميأسر، لثلا يكون فيه لحن؛ ثم أوتره وضع الجباد على رقيق

خاصرتك، وخذ المخطاف بيدك اليسرى بعد إشباع يدك اليمنى تحت المفتاح، وضعه في الوتر، واطلع به ثم أوقفه على بركة الله، فأخرجت عنه الإبهام فإن خروجك بسلام، ثم حول القوس وانقله إلى يدك اليسرى وركب السهم وارم ما أحببت.

فصل

قال بعض علماء هذا الشأن: أوقع بحلم، وانظر بعلم، واقْرص بعَضَب. وقيل: شدَّ اليسار، وحُدَّ النَّظَر، فقد صحَّ لك من الأمر أثر. وقد قيل: إذا أصاب الرامي الغرض بسهمه قتل ببلاد العدو رجلاً، وإذا رميت فتعود العجلة. وقد حُكي عن رجل من العرب أنه وقف على رامٍ قدَّم جرَّ قوسه وهو ينظر! فقال له: ما الذي تنظر؟ قال: لعلِّي أعرض أحداً! فقال له: ارمِ السهمَ يَطْلُبُ صاحبه. والعالي من الرماة هو الجرَّار، الثابت النظر، السريع الرماية. وقيل: العلوُّ في الرماية: الجرُّ، والرمي، والجرأة. ولا تجتمع هذه الخصال إلا في قليل من الرماة. واعلم أن جرَّ القوس مخوفٌ في زمن الشتاء، وذلك حذراً على الرامي لشدة القوس، وحذراً على القضيب لحسومته. فالقضيب الشرقي يصلح للشتاء، والقضيب الغربي يصلح للصيف. فإن كنت في زمن الشتاء فاجعل قوسك للشمس حتى ترطب وتلين، وارم بها. وإن كان يومَ قرَّ فلا سبيل إلى ذلك إلا في الغزو خاصة. وإن كنت في زمن الصيف فاجعلها في مكان بارد حتى تبرد وارم بها. والشأن كله والبركة في قرص المفتاح. والقرص على ثلاثة أوجه: فمن الناس من يكون ضبطه سلساً، فيكون قرصه ليناً، ومنهم من يكون ضبطه بينَ بينَ، فيكون قرصه شيئاً شيئاً. فهم لا يستوثون في ذلك. والخاتمة إنما هي القرص.

فصل

واعلم أن القوس لا يستوي طرفاها حتى يكملَ عليها الصفة. فأحذر ستَّ حصال، فإنها رأس الخطأ في هذه الصنعة: الوتر الحشن، فإنه ينقص الرمي ويكسر القضيب، وفي القضيب الفراغ، والامتلاء، والوقوف، والخشب الذي يكون تحت الصدر، وترقيق الأطراف. ومما هو عند الرماة فرضٌ واجب حتره الكتان للوتر. وإذا رأيت قوساً قوية فلا تجرها بوجه. وإذا مشيت في الغزو فتقلُّ الزاد وخفف السلاح، وبزائد القوس على جميع السلاح. فالقوس الخفيفة هي النفاة الرمي.

وإذا رأيت الناس في الصدمة الأولى فقف مكانك، حتى ترى ما يكون، لعلك تفض. بمن وصل إلى الناس شده. ولتكن سهامك مستوية العمل غزالية التركيب، رفاق بيوت الريش، فردية الأفواق. وأحذر سبع خصال، فأما أسباب رجوع السهم إلى الرامي، فمنها في السهم اثنتان: فصر فوق، والتجنب أمام. وفي الجوزة اثنتان: سعة النهر، وعلو العتبة. وفي القضيب ثلاثة: الفراغ، والامتلاء - وقد تقدم ذكرهما - والغسل.

فصل

واعلم أن الرماية صنعة، والغرض سعد، فغرض السعد. واعلم أن الأول من السهام يسمى "دليلاً" والثاني "بانياً"، والثالث "ظهوراً"، والرابع "طالباً" والخامس "ضارباً"، والسادس "سد ذريعة". فإذا رميت الدليل وجاء فوق الإشارة، ورميت الباني وجاء تحتها، ورميت الظهور وجاء يمينا، ورميت الطالب وجاء يساراً فارم الخامس فهو الضارب كاسمه كما ذكرنا، والسادس هو المحقق، وهو سد الذريعة. ومن رمى الستة ولم يصب بأحدها فرمائه خداج، فلا يتعاهد الرمي أبداً. ومن أصاب باثنين فشغله قد تيسر، ومن أصاب بأربعة فهو قد أصاب كثيراً من الصنعة، ومن أصاب الستة فقد حاز درجة المنتهى، ودخل في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكان أول سهم رمى به في غزوة بدر الأبواء. وهذه الأبيات من قوله في ذلك:

حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبَلِي

بسهم يا رسول الله قبلي

بكل حُزونة وبكل سهل

وذو حق أثبت به وعدل

ألا هل أتى رسول الله أني

فما يعتد رام في عدو

أذود بها أوائلهم ذيادة

وذلك أن دينك دين صدق

به الكفار عند مقام مهل

غوى الحي ويحك يا ابن جهل!

يُنَجِّي المؤمنون به ويُخزي

فمهلاً قد غويت فلا تعبني

وفي السهم الكامل خصال محمودة تزين الرماية وتشد الحك والغسل، والتحريك.

قال شيوخ هذه الطريقة: القصير حقير، والبارز فارس، ولكل شيء حبيب، وحبيب القوس السهم العدل.

فصل

واعلم أن الحديد سبعة عشر صنفاً، أربعة منها للصيد، وذلك: الزجُّ، والشلياط، والمرجفلي، والمجنح. وثلاثة للدرع وذلك: السبب، والمرع الطويل، والمثلث. وأربعة للترس وذلك: المربع القصير، والقطرال، والبلوطة، والشبري. وأربعة للدَّرَق: وذلك الشَّلياط، وهو أصغر من الصيد، والطموح، والمجواف، والملحاني واثان لمعنيين آخرين: وهما: البجوق وهو لقطع البشت وسهم الحمى وهو لخرق السفن وأبراج العود. فلا تخل من هذه الأصناف المذكورة، وتعلم على أفاقها لتكون معلومة عندك أن تمد يدك إلى كنانتك في وقت الحاجة وتخرج الذي تريد منها. وقد قيل: "قبل الرمي تراش السهام". والكلام في هذا الباب يطول، إذ لو تتبعنا الكلام في القوس والنبل والرمي لخرجنا عن مقصود التأليف.

فصل

ومما جاء من الشعر في القوس:

أنا القوسُ الذي لا شكَّ أنِّي
أبيدُ الأسدَ في الحرب الزَّبُونِ
أنا أقضي على الأبطالِ قَدَمَا
وفي كبدِي سِهَامٌ بالمَنُونِ
سِهَامٌ فَوَقَّتْ لي من كمين
فَوَيْلٌ للكُماةِ من الكمينِ
إذا فَوَقَّتْ سَهْمِي ليس يُلقَى
بترُسٍ، لا ولا درعِ حصينِ
ومن ذلك أيضاً:

سَلُّوا حَلَقَ المادِيِّ عن حدِّ أسهُمِ
فقد تَلَمَّتْ حدَّ القنا والقواضبِ
تخبرُكُمُ أني إذا الخيلِ أوجفتُ
شريكُ المنايا في نفوسِ الكتائبِ
إذا سمِعَ الأبطالِ في الرَّوعِ هزَّتِي
رأيتُهُمُ تحتِ العتاقِ الشَّوازِبِ
كأنَّ اهتزازي نفخة الصُّورِ كلما
أصاخوا لها خرَّوا على كلِّ جانبِ
لئن فخرَ الخطيُّ إن شُبِّهتْ به
حسانُ التنتيِّ من قُدودِ الكواعبِ
ففي أسهمِ الألحاظِ للفخرِ مسرح
إذا رُمْتُهُ، أو في قسيِّ الحواجبِ!
ومن ذلك أيضاً:

سِهَامِي نافاتٌ في الأعادي
إذا الرامي أجادَ بي الرمايةِ
أقيمُ بكفه ويصيرُ سَهْمِي
إلى بُعدٍ ويُدرِكُ كلَّ غايةِ

ولا السيفُ المهذَّبُ في الحماية

إذا فكرتَ ليس له نهاية

وليس الرمحُ يفعلُ مثلَ فعلي

فخرتُ على السلاحِ بذا. وفضلي

ومن ذلك أيضاً:

فإن لأسهمي فضلاً عليه

أفضل غير أسرنا إليه

ذَرِ الخَطِيَّ يَنْتِي مِعْطَفِيهِ

إذا كان العُلا قَتَلَ الأعادي

والشعر في القوس كثير يطول ذكره.

وأما بالقوس فأنواع القسي مختلفة، وأحوالها متفننة، والعمل بها يحتاج إلى بسط لا يحتمله هذا المختصر. وللماية كتب معروفة، وصناعة مشهورة، فليُنظر منها بحسب ما يليق به ويخفُّ عليه. لكن عمدة الفارس الرامي: الفرسُ الحَسَنُ الرياضة، "والقوس" المتأتية للجرُّ على الفرس. وبالله التوفيق.

الباب الثامن عشر

ذكر الدروع

الدروع قد عدها الله عز وجل في النعمة التي أنعم بها على الناس، قال المفسرون في قوله تعالى "وسراييلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ": إنها الدروع. وإها لتدافع الوجل، ما تراخي الأجل. ولذلك قال عباد بن الحصين وقد سأله رجل: أي درع كنت تحب أن تلقى عدوك فيها؟ فقال له: في أجلٍ مُستأخر. وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم درع يقال لها: "ذاتُ الفضول"، وكانت له درع أخرى إذا علق بزرافينها لم تمس الأرض، وإذا أرسلت مسّت الأرض. وكان عليه السلام لا يشاهد الحرب إلا بها. وكان له درعان أصابهما من بني قينقاع. يقال لإحدهما "الصُعديّة". وقيل إنه كان عنده درع داود عليه السلام التي كانت عليه يوم قتل جالوت. روي أن لقمان الحكيم كان يجالس داود عليه السلام، وداود يصنع الدرع، ولم يدّر لقمان ما هي، ولم يسأله عنها؛ فلما أكملها لبسها، وقال إنها لحصن ليوم بأس، فعلم لقمان حينئذ أمرها.

فصل في أسمائها ونوعاتها

فمن ذلك "الجُنن" وكلُّ ما يُتقى به فهو جُنّة. و"اللأمة": الدرع التامة التي لها فضول. فإذا كانت واسعة فهي "زَعْفة" ثم "نُثرة"، و"نُثلة". ثم "فضفاضة" إذا كانت مع سعته ضافية. فإن كانت ضيقة فهي

"السُّكَّ". فإن كانت لِيَّةً فهي "خَدْبَاء" و "دِلَاصَ". فإن كانت مُحَكِّمَةً صُلْبَةً فهي "قَضَاء"، و "حَصْدَاء"، فإذا كانت طويلة الذيل فهي "ذائل". فإذا كانت بيضاء فهي "مأذية". وقيل: إن المأذية المعينة، وقيل: السهلة اللينة.

ومساميرها "الحَرَائِي" واحدها "حَرْبَاء" ورعوس مساميرها: "القَتِير" واحدها "قَتِيرَة" وهي المشبَّهةُ بعيون الجرَّاد. و "المضاعفة" هي المتداخلة حَلَقَتَيْنِ حَلَقَتَيْنِ. وحَلَقَها: "الزَّرْد". فإذا كانت من صفائح مثقوبة فهي "مسرودة". فإذا كانت منسوجة مرمولة فهي "جدلاء". فإذا كانت قصيرة فهي "شليل" و "بدن". فإذا كانت صدرًا بغير ظهر فهي "جوشن". و "السَّلُوقِيَّة" منسوبة إلى سلوق "قرية باليمن تعمل بها. و "الحُطْمِيَّة" منسوبة إلى "حُطْمَة"، قيل: إنه رجل من عبد قيس بن أفضى. و "الفرعونية" منسوبة إلى "فِرْعَوْن". و "الداودية" تنسب إلى "داود" عليه السلام. ومما جاء من الشعر في الدرِّع قال المعري:

غَدِيرٌ وَشْتَهُ الرِّيحُ وَشِيَّةَ صَانِعٍ
كَأَنَّ الدَّبِيَّ عَرَقَى بِهَا غَيْرَ أَعْيُنٍ
وَمَا حَيَّوَانِ البِرِّ فِيهَا بِسَالِمٍ
فَلَوْ لَمْ يَضَعْهَا عَنْهُ لِلسَّلْمِ فَارِسٍ
وَلَوْ عَلِمَتْ نَفْسُ الفَتَى يَوْمَ حَتْفِهِ
أَمُونٌ إِذَا أَوْدَعَتْ نَفْسَكَ جِسْمَهَا

وقال عبد القيس بن خُفَّاف:

وَسَابِغَةٌ مِنْ جِيَادِ الدَّرُو
كَمِثْلِ الغَدِيرِ زَقَّتَهُ الدَّبُورُ
عَ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَلِيلًا
يَجْرُ المَدَجَّجِ مِنْهَا فُضُولًا

وقال أبو إسحاق بن خَفَّاجَةَ يصف لأيس درِع:

زَرَّ الحَدِيدِ عَلَيْهِ جَيْبٌ حَمَامَةٌ
فَكَأَنَّ جِلْدَةَ حَيَّةٍ خُلِعَتْ بِهِ
وَرَقَاءَ فِي غَبَشِ العَجَاجِ الأَقْتَمِ
يَوْمَ الكَرِيهَةِ فَوْقَ عِطْفِي أَرْقَمِ

فصل

ومن العرب من يفخر ويتمدح بلبس الدرع في الحرب. قال عنترَةُ الفوارس:

عَجِبَتْ عَيْبَلَةٌ مِنْ فَتَى مَتَبَدَّلٍ
 شَعَتْ الْمَفَارِقَ مِنْهُجٍ سِرْبَالَهُ
 عَارِي الْأَشَاجِعِ شَاحِبٍ كَالْمُنْصَلِ
 لَمْ يَدَّهِنْ حَوْلًا وَلَمْ يَنْزَجِلِ
 إِذَا اكْتَسَى وَكَذَاكَ كُلِّ مَحَارِبِ مُسْتَبْسِلِ
 لَا يَكْتَسِي إِلَّا الْحَدِيدَ
 صَدَأُ الْحَدِيدِ بَجَلْدِهِ لَمْ يُغْسَلِ
 قَدْ طَالَ مَا لَبَسَ الْحَدِيدَ فَإِنَّمَا

ومنهم من يتمدح بضد ذلك ويرى أن الدرع متعبة ومشغلة، وإن من يقتحم الحرب دون درع أشجع، وفي قتاله أسرع. قال الأعشى:

وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيْبَةٌ مَلْمُومَةٌ
 تَأْوِي طَوَائِفَهَا إِلَى مَحْمُودَةٍ
 خَرَسَاءُ يَخْشَى الذَائِدُونَ نَهَالَهَا
 مَكْرُوهَةٌ يَخْشَى الْكِمَاءُ نَزَالَهَا
 كُنْتَ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ
 وَعَلِمْتَ أَنَّ النَّفْسَ تَلْقَى حَنْفَهَا
 وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ يَمْدَحُ رَجُلًا:

يَلْقَى السِّیُوفَ بِوَجْهِهِ وَيَنْحَرُهُ
 وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ اصْطَبِرْ لِشَبَابِ الْقَنَا
 وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَغْفَرِ
 فَعَقَرْتُ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تُعَقِّرْ!

فصل

ومن الدروع "المغفر"، وهو ينسج لسج الدرع يُغطى به الرأس والوجه. قال ابن المعتز يُخاطب غلاماً:
 وَلَمَّا اقْتَحَمْتَ الْوَعْيَ دَارِعًا
 حَسْبُنَا مَحْيَاكَ شَمْسَ الضُّحَى
 وَمَا صُنِعَ لِلرَّأْسِ مِنْ حَدِيدٍ مَنْقُورٍ فِيهِ "بَيْضَةٌ". و"قَوْنَسُهَا": أشراف مقدمها. و"دَائِرَتَاهَا": مؤخرها.
 وَمِنْ أَسْمَاءِ الْبَيْضَةِ "خُودَةٌ". و"تُرْكَةٌ". و"تْرِيكَةٌ". و"رَبِيعَةٌ". و"خَيْضَعَةٌ". وَيُقَالُ فِي الْجَمْعِ "خُودٌ" وَ
 "تَرَائِكٌ".

الباب التاسع عشر

ذكر الترسة وشبهها

الثَّرْسُ: هو المَجَنُّ الدَّائِرُ، وعليه تدور الدوائر.
عن أنس بن مالك قال: كان أبو طَلْحَةَ يَتَرَسُّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بِتُرْسٍ واحد.

فصل

ومن أسمائها جمعاً: "التِرَاسُ"، و"الجَوْبُ"، و"الفَرَضُ"، و"الجُنُنُ"، و"المَجَانُ". واحدها "تُرْسٌ"، و"جَوْبٌ" و"فَرَضٌ"، و"مَجَنٌّ"، و"مُجَنًّا".
فإن كانت من جلود فهي "دَرَقٌ"، و"حَجَفٌ"، و"يَلْبٌ". واحدها "دَرَقَةٌ"، و"حَجَفَةٌ"، و"يَلْبَةٌ". وقيل:
إن "اليَلْبَ" مدارعٌ من جلد. وقيل: إنها كالبيضة للرأس خاصة. وقيل: إن "الجَحْفَ" من خشب. و"الدَّرَقُ" تصنع من جلود البقر، وتصنع من جلود الوحش، ومن جلود اللمط، وهي أحسنها وأمنعها. واللمط. هو حيوان من إحدى غرائب المغرب، يَعْمُرُ الصَّحَارَى يُصنع من جلده الدَّرَقُ. وخاصية دَرَقَةَ جلد اللمط أنها أن أصيبت بضربة سيف أو رمح انغلقت الضربة والتحمت من وقتها واختفت فلا تظهر.

فصل

يجب على صاحب التُّرس في القتال أن يترس بوسطِ تُرسه من السيف والمزراق والحجارة، ويديرها يمنة ويسرة خارجاً عن محاذاته، ولا يلصقه ببدنه متى خاف وقع منه شيء به. ويدراً به عن نفسه وعن فرسه في إدارته له، وأن يلقي الحجر بصدر التُّرس أحسن، وليوريه ليزلَّ ما يقع عليه. ويترس من الرمح بجملته ومعظمه، فإذا أحسَّ بوقع السنان به ورى وأخرجه عن بدنه، وليحذر الاعتماد عليه عند ذلك بحسبه لئلا يصرعه، وليحذر أيضاً عند توريته به أن يزلَّ عنه "السنان"، فيعلق بثوبه. فهذا المقدار هو الذي ينبغي أن يحافظ عليه.

والعمل بالدَّرَقَةَ كالعمل بالتُّرس سواء. لكن الدَّرَقَةَ تحبس الرمح لرتوبتها واستواء جرمها، فيجب استراقه والتورية بها عنه، لئلا تَنْقُلَ في اليد فيتعذر العمل بها.

والركوب بالترس له حالتان في طوله وقصره: فإن كان طويلاً نزع يده من عُروتها، ثم أخذ عنانه بيده اليسرى وركب وليحذر منه على ذقنه إن كان يبلغه. وأما إن قصرَ فليأخذه تحت إبطه ويركب. وللاُسْعَد ابن بليط في تُرس:

لنقصرَ عنه طوالَ الرماح

مجنُّ حكى صانعوه السماء

كواكب تَقْضِي لَنَا بِالنَّجَاحِ
كَمَا جَلَّ الْأُفُقُ ضَوْءَ الصَّبَاحِ

وَصَاغُوا مِثَالَ الثَّرِيَّا عَلَيْهِ
وَقَدْ طَوَّقُوهُ بِطُوقِ اللَّحْيَيْنِ

الباب العشرون

السلاح والعدة على الإطلاق

واتخاذ السلاح من فرض الجهاد لقول الله عز وجل "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ". قال ابن عباس: القوة: السلاح والعدة في سبيل الله. واقتناء ذلك للواجد على قدر همته، وعزة نفسه إلى ما فيها من الأجر والثواب.

رُوي عن عبد الله بن زجر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ أَخَذَ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ جُعِلَتْ فِي مِيزَانِهِ كُلَّ غَدَاةٍ".

وعن عبد الله بن شوذب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تُعْرَضُ أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ كُلِّ اثْنَيْنِ، وَكُلُّ خَمِيسٍ، فَمَنْ زَادَ فِي سِلَاحِهِ زَيْدًا فِي حَسَنَاتِهِ، وَمَنْ نَقَصَ مِنْ سِلَاحِهِ نَقِصًا مِنْ حَسَنَاتِهِ".
والعدة من أسباب القدر، وأعوان الظفر، فما انفسحت المدة قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: رأيت دواءً نتدأوى به ورقي نسترقها، يرُدُّ من قدر الله شيئاً؟ فقال: هي من قدر الله.

فصل

كانت العرب تقول: السيف ظل الموت والرمح رِشَاءُ الْمَيِّتَةِ، والسهام لا تؤامر من أرسلها، والدرع متعبة، وإنما لحصن، والترس مَجَنٌّ.

وسأل عم بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرب عن السلاح، فقال: يسأل أمير المؤمنين عما بدا له! قال: ما تقول في الرمح؟ قال: أخوك وربما خانك فانقصف. قال: فما تقول في التُّبَل؟ قال: منايا تُخطيء وتصيب. قال: فما تقول في الترس؟ قال: هو الجُنُّ الدائر. وعليه تُدْرَرُ الدوائر. قال فما تقول في الدرع؟ قال: مَثْقَلَةٌ لِلرَّاحِلِ، مَشْغَلَةٌ لِلْفَارِسِ، وَإِنَّمَا لِحِصْنٍ حَصِينٍ، قال: فما تقول في السيف؟ قال: هنالك قارعتك أمك بالشكل! لا أم لك! فضربه عُمرُ بالدرة، وقال له: بل لا أم لك! قال: الحمى أضرعتني إليك. وقد جمع العلوي وصف الخيل والسلاح، فأحسن حيث يقول:

بِحَسْبِي مَنِ مَالِي مِنَ الْخَيْلِ أَعِيطُ سَلِيمُ الشَّظَى عَارِي النَّوَاهِقِ أَمْعَطُ

وأبيضُ من ماء الحديد مهنَّدٌ
 وبيضاءُ كالضحاح زَعْفُ مُفاضة
 ومعطوفةُ الأطراف كبداءِ سَمْحَةٌ
 فيا ليتَ مالي غير ما قد جمعتهُ
 ويا ليتني أُمسي على الدهر ليلةً
 وأسمرُ عَسَّالُ الكعوبِ عَطَنُطُ
 يكفُّها عني نَجَادٌ مَخَطُطُ
 ومنفجةُ الأعطافِ صفراءُ شَوْحَطُ
 على لُجَّةٍ تيارها يَنْغَطُغَطُ
 وليس على نفسي أمير مُسَلِّطُ

وقال العيَّار الضَّبِّي في معناه:

أعددتُ بيضاءَ للحروبِ ومَصُ
 وفارجاً نَبْعَةً ومِلءَ جف
 وأريحياً عَضْباً وذا خُصَلِ
 يملأ عينيك بالفضاءِ ويُرض
 قولَ الغرارينِ يَقْصِمِ الحَلَقَا
 ير من نِصَالٍ تخالها ورقا
 مُخْلَوْلِقِ المَتْنِ سابحاً تَنَقَا
 يك عِقَاباً إن شئتَ أو نزقا

فصل

وإذا انفرد الفارس بشيء من السلاح نُعتَ به. فهو بالسيف: "مُسَيْفٌ" و "سَيْافٌ". والضارب به "سائفٌ". وهو بالرمح "رَامِحٌ" وبالنبيل "نابِلٌ" و "نَبَّالٌ". وبالنشَّاب "ناشِبٌ". وبالدرع "دارِعٌ". وبالمِغْفَر "مِقْنَعٌ"، وبالترس "تَرَّاسٌ".

فإن جَمَعَ السيف والنبيل فهو "قارنٌ". وإن جمع السلاح فهو "سالحٌ". و"الشكَّةُ": السلاح التام. تقول: فارس "شاكِي السلاح"، مخفَّفاً، وقيل إنه من شوكة السلاح، فإن كان كذلك فهو مقلوب من شائك، وفارس "مؤمِّلٌ": تام السلاح من الأداة. وكذلك "مُدَجَّجٌ". و"السَنَوْرُ": السلاح مع الدرع. و"البِزُّ" و "البِزَّةُ": السلاح بلا درع.

فإن كان الفارس لا سيف معه فهو "أَمِيلٌ". وإن كان دون رمح فهو "أَحْمٌ". وإن كان دون درع فهو "حاسرٌ". وإن كان دون ترس فهو "أَكْشَفٌ" فإن كان لا شيء من السلاح فهو "أَعْزَلٌ".

فإذا لبس الدرع تقول "اسْتَلَّامٌ": أي لبس اللأمة. و "سَنَنٌ" عليه الدرع: صَبَّها عليه. و "تَثَلَّها": لبسها عليه أيضاً. و "تَقَنَّعٌ" لبس المِغْفَر. و "اجْتَنَّنٌ": لبس الجُنَّة.

و "جَلَّلٌ" بالسيف: إذا حمل على قرنه به وحضَّض عليه به، و "جَلَّلَه" به: علاه، و "وسافه": ضربه به وحزبه به، و "طَبَّقٌ": إذا أصاب المَفْصِل، و "بَرِي": إذا قطع اللحم والعظم وأبان العضو.

و "المِصاعُ" و"المِصَاعَة": المجالدة بالسيوف، و "المِطاعنة" و"المِداعسة": المضاربة بالرمح. تقول: رَمَحَ

وَدَعَسَ وَنَدَسَ: إِذَا طَعَنَ بِالرَّمْحِ. وَنَبَّلَ وَرَشَقَ: إِذَا رَمَى بِالسَّهَامِ.

قلتُ: وإحكامُ العملِ بالسَّلاحِ لا يتساوى الناسُ فيه، بل التفاوتُ بينهم في ذلك شديد، والتباين بعيد. فيجبُ على العاقل أن يشاهد من أهلها الأعمال، ويحاضرَ بها الرجال، ويأخذَ بحظ من التمرن فيه مع من يراه أهلاً لذلك ويصطفيه، حتى يعرف كيفية الطعن والضرب والثقابة بالسلاح في الحرب، ووجوه العمل في الكرِّ والفرِّ، والامتناع، والدخول على المبارزين، والخروج عنهم في المطاعنة والمصاع، وملاحظة مواقع السهام، وأوقات الإقدام والإحجام، واستراق الأرض في المبارزة، واستتار الشمس عند اللقاء، والمناجزة والمراوغة، والعطف في القتال، ودقائق ذلك، ولو احقه لدى التزال، وترصدَ غرّة العدو في حال الحركة والهدوء، والختل في تعطيل الرمح بالضرب عليه أو ملكه على ربه، أو رده إليه، أو خلع عذار الفرس، أو قطع عنانه، ليشتغل الفارس بأمر فرسه وشأنه، فيتمكن منه في الحين، وتظهر الفراسة فيه وتستبين. ومن لم يتمرن في ذلك فلا تُعرِّه نفسه بأن تسلك به هذه المسالك. ففي معرفة ذلك كله وإمعان النظر فيه يتفاضل الفرسان، مع الاستثبات وجرأة الجنان، وشدة الحذر عند منازعة الأقران، ومنازلة الميدان. والله جلّ وعلا في كل حال هو المستعان.

قال أبو الطيب:

إن السَّلاحَ جميعَ الناسِ تحمُّله **وليس كلُّ ذواتِ المِخلَبِ السَّبُعُ**

وهنا بحمد الله انتهيتُ إلى ما قصّدتُ، وفرغت من تلخيص ما قدمت وتمت الغرض، وأدّيت الواجب المفرض، لما جلبت..... إلى مُميّزه، وأجريت الجواد. بميدان مُجَوّزه، من جيوش الإسلام قد خطت بساحته، ورغبت في فيض الندى من راحته، وبلاد العدو قد أعطته يد الانقياد، لتبلغ منه السؤل وتنال كل المراد. وقد تاقت إليه تَوْقَانِ الدَّنْفِ إلى الأَسَاة، والندب إلى المواساة. وهي تحسد أمثالها في أن لاذت منه بالثواء، وتود أن لو صافحته في اللقاء، فظفرت منه بالبراء الشافي، والرّدء الكافي، والحبيب المصافي. ثم هو - أيده الله تعالى - يُسرّحها من عقال الخمول، ويعمها بالخصب بعد المحول، ويُنقذها من يد الامتهان بحماته ووفوده، ويجعلها بعد الحضيض في منزلة كيوان بكماته وجنوده. فله العزائم التي تُذعر الأيام، وتوقظ الخطب إذا نام، والشجاعة والكرم لطبيعته حليفان، ولسجيته مصاحبان، والكرَب بسنانه تتفرّج، والأخبار عن ثنائه تتأرّج، والأصوات ترتفع داعية مختلفة، والأيدي تمتد ضارعة مؤتلفة، في أن يُرغم الله معاطس الأصنام بصدق جدّه، ويُمضي عزائم الإسلام بمضاه حده.

اللهم مكّن له في أرضه أوسع التمكين، واشدد وطّاته على المعتدين، وأيد به أحزاب المؤمنين، وبدّد

بجنوده أَوْشَابَ الكافرين، واجعلهم لسيوفه الماضية حَصِيداً خَامِدِينَ.
اللهم اكْلَأْهُ من جِوَانِهِ وَجِهَاتِهِ، وَأَحْيِ معالِمَ الإِيمَانِ بِحَيَاتِهِ. واحرُسْهُ في يَقْظَاتِهِ وَسِنَاتِهِ عن... العلية
وذاته، وانشر بريح النصر عَدَبَاتِ أَلْوَيْتِهِ وراياته.
اللهم أَرِهِ الأمل في أهله وأولاده، وَحُمَاتِهِ وَأَجْنَادِهِ، واحطُطْ "رحال" الغبطة لديه، وابسط بالخيرات يديه.
إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.
والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين "وإمام المرسلين"، وعلى
آله وأصحابه وأنصاره البررة الأكرمين. وسلم كثيراً.